

ادونيس

الأعمال الشعرية

١

افانج مهيال الدمشقي

وقصائد أخرى



للشاعر

(١) شعر

قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ،
طبعة جديدة ، دار الآداب ،

وقت بين الرماد والورد ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احترافاً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقبي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛

ط٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيّدة ومنقّحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ،

(دار الساقى ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

(٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكايه فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسيان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقتان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



أغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

أدونيس



أغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

المدي

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, I

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية/أغاني

مهار الدمشقي وقصائد أخرى

Al Mada : Publishing Company

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

First Published in 1996

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

Copyright © Al mada

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٢٠١٩ - ٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 ; Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611 - 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in retrieval system , or transmitted in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرتُ أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر : القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلّى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي – الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره .

هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها .

وهي ، إذن ، المعتمدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦

أدونيس

قصائد أولى

(1955-1949)

قالت الأرض

(مقاطع)

- ١ -

قالت الأرض في جذوري أبادُ
حنين، وكلُّ نبضي سؤالُ
بيّ جوعٌ إلى الجمال، ومن صدري
كان الهوى، وكان الجمالُ

- ٢ -

مالي اليوم أستفيقُ، فلا حقلي
نضيرٌ، ولا تلالي زواهيرُ
لا النواطير يسمرون مع النجم
ولا الضوء راتعٌ في المحاجرُ
أنا كنزٌ مخبئاً، أين أبنائي
فكّلي صوتٌ، وكلّي حناجرُ.

- ٣ -

رَبِّمَا أَنهَكْتَهُمْ ضَرْبَةً عَمِيَاءُ
فَاسْتَسْلَمُوا لَهَا وَاسْتَلَانُوا
رَبِّمَا أَلْبَسُوا ثِيَاباً سَرَتْ فِيهَا
أَكْشَفُ الْأَوْثَانِ ، وَالْأَوْثَانُ
رَبِّمَا... رَبِّمَا ، كَأَنَّ الْحُرُوفَ السُّودَ
صُمِّتَتْ فِي وَقْعِهَا الْأَذَانُ
فَكَأَنَّ لَمْ أَطْلُعْ عَلَى الْأَرْضِ مِيلاداً
وَيُخْلَقُ مِنْ صَدْرِي الْإِنْسَانُ .

- ٤ -

قُمْ مَعَ الشَّمْسِ يَا شَبَابِي ، وَحَرِّكْ
عَالِماً سَاهِمَ الْبَصِيرَةِ ، جَامِداً
أَنْتَ عَلِمَتَهُ الْحَيَاةُ قَدِيماً
وَمُسْتَبْقَى لَهُ دَلِيلاً وَرَائِدُ .

- ٥ -

أَنَا سَوِّيتُ مِنْ عُرُوقِي أَبْنَائِي
وَرَبِّيتُهُمْ ذُرِّيَّ وَجِبَالاً
يَتَسَامُونَ فَالْطَّمُوحُ مَدَى جَدْبٍ
وَيَحْيُونَ فِي الزَّمَانِ مِثَالاً

أنا سوّيت من عروقي أطفالاً
وسوّيتُ فيهم الأطفالِ .

- ٦ -

مَجْدُونِي ، تَفْتَقُوا فِي يَنَابِيعِي
فِيضاً ، وَفِي تَرَابِي رِبِيعَا
وَحْدَةً نَحْنُ ، يَضْحَكُ الْقَلْبُ لِلْقَلْبِ
وَتَسْتَلِهُمُ الضُّلُوعُ الضُّلُوعَا
كَمْ أَقْلُنَا مُعْثَرِينَ حَيَارَى
وَاحْتَرَقْنَا عَلَى الدُّرُوبِ شَمُوعَا
وَمَدَدْنَا لِلظَّامِئِينَ نَفُوساً
فُجِّرَتْ فِي حَيَاتِهِمْ يَنْبُوعَا .

- ٧ -

يَا التَّوْقِي ، يَا عَمَقَهُ ، يُخْلَقُ
الْمَجْهُولُ فِيهِ ، وَتُولَدُ الْأَيَّامُ
يَمْسَحُ الْوَهْمَ عَنْ حَيَاتِي فَلَا
الْإِيْهَامَ يَلْهُو فِيهَا وَلَا الْأَوْهَامَ
بَعْضِي الْفَجْرُ ، بَعْضِي النُّورُ وَالْحُبُّ
فَمَا مَرَّ فِي كِيَانِي ظِلَامٌ
إِنْ أَكُنْ نَمْتُ مَرَّةً ، فَلَأَعْمَاقِي

دويءٌ مجلجلٌ لا ينام .

- ٨ -

أيّ خلقٍ كالسرّ ، كالحلم ، كالفتح
يفضّ البعيدَ والمجهولاً ...
جُمعَ الكلّ فيه ، فالخلقُ
مضفورٌ على كبريائه إكليلاً .

- ٩ -

حَمَلتَ فجرَهَ بلادي أنباءَ
حياةٍ غَلَابَةٍ وشبابٍ
قُلْ لمن يحضن السُّرابَ ويلهو
بفراغٍ مُطرَرٍ بالسُّرابِ
أشرقَ العالمُ الجديدُ ، وماتتْ
خلفه ، جاهليّةُ الأحقابِ .

- ١٠ -

يئسَ الشعبُ من مغالبة اليأسِ
ففيه لليأسِ بابٌ عتيقُ
يتمشّى في صدره قلقُ جمرٍ
وصوتٌ مجرَّحٌ مخنوق

جُنْ فِيهِ السَّوَالُ ، أَيْنَ غَدُ
يَخْلُقُ مَا شَاءَ ، وَأَيْنَ الطَّرِيقُ ؟
كَلَّمَا هُمْ أَنْ يَثُورَ عَلَى الْقَيْدِ
تَوَلَّاهُ خَائِنٌ أَوْ عَقْبُوقُ
رَبُّ صَبَحَ أَفَاقَ فِيهِ فَعَفَى
خَائِنِيهِ ، إِبَاؤُهُ الْمُسْتَفِيقُ .

- ١١ -

لَا نَوَاعِيرُهُ تَدُورُ ، وَإِنْ دَارَتْ
فَبِالْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ تَدُورُ
بِيدَرٍ يَسْأَلُ الْحَصَادَ عَنِ الْقَمْحِ
وَحَقْلُ يَلْزُومِي وَأَرْضُ تَبُورُ
وَعَلَى أَتْنَةِ الْعَذَابِ وَأَهَ الْيُتِمِ
تَعْلُو مَرَابِعُ وَقُصُورُ
تَشْرُئِبُ الذَّرَى عَلَى ضِجَّةِ الْوَيْلِ
وَتَشْكُو إِلَى الصَّخُورِ الصَّخُورُ .

- ١٢ -

فِي الدُّرُوبِ انْتِفَاضَةُ الْكَبِيرِ
فَالْخَطُوءُ عَلَيْهَا مُحَقَّرٌ مَرْدُولُ
قَدَمٌ تَكْتَبُ الْجَرِيمَةَ وَالْبَغْيَ

فخطواؤها دمٌ وقتيل
والقرى صفرةً ، فقد مسح الخضرة
عن وجهها النضير ، الذبول
كل بيتٍ فيها ، شفاه تجمدْنَ...
فماذا تشكو ، وماذا تقول؟
يورقُ اليبسُ في الصراع ، ويحيا
الميتُ فيه ، ويبطل المستحيلُ

- ١٣ -

ألجبال العتاق والصخر والشاطئ
والزورق المذلُّ المغامر
صرخاتٌ — مَدَى كَأَنَّ عَلَيْهِ
من جفون التاريخ آلاف ساهر
هي فينا حبٌ يسائل عن حب
وماضٍ يلفّ بالمجد حاضر
عبثاً ، لن تهدأ جليجلة البغي
شفاه نذابة ، أو منابر
ليس إلا أن ننسج الحب رايات
وأن نرفع النفوس منائر

- ١٤ -

ها طريقُ الحياة نحن شققناها
عِراكاً وثورةً وجهاداً
نتخطى عنفَ الزمانِ وتلقي
صورَ العُنفِ خلفنا أمجاداً
ربُّ نورٍ كان الحياةَ لشعبٍ
لمحته عين الظلام سواداً .

- ١٥ -

لغة الحق أن نموت مع الحق
انتصاراً أو أن نموت انكساراً
ليس عاراً لنا ، إذا ما تكبنا
إن في خفضنا الجبّة العارا

- ١٦ -

يا للذل يطوي النفوس ويبنيها
عروشاً تتيه ، أو سلطاناً
كم مشّت حولنا مواكبها السؤد
جحيماً ، وغلغلت أفعوانا
أي حق حنا الجمال عليه
لم يصرف في ضميرها بهتاناً

مالها، مالها يُمزقُها الحقْدُ
جنوناً، وترتمي خذلانا
لم يَلِن نائِها العتي، ولكن
لَمَحَتْ في صدورنا الطوفانا .

— ١٧ —

أَنْ يا شعبُ أَنْ تزولَ حياةُ
تَمَادَى قسولاً وقيلاً وقالاً
لا يصير السّرَابُ حقّاً ولا تُعطي
أكفَ الرّمالِ إلا رمالاً .

— ١٨ —

أيها الجيلُ أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هوائك الجهادُ؟
أرضُك الأرضُ لا السنايلُ آفاقُ
تهزُّ الرّوى ولا الحصّادُ
أثرى هذكَ العياءُ وأسلستَ
قياداً، فجُنَّ فيك القيادُ
كيف تحيا وكلّ أرضك أثاتُ
حيارى، وكلّها أصفادُ
أين يا جيلُ، أين كبرك يا جيلُ

فهل ماتَ في هوائِ الجهادِ

- ١٩ -

ما علينا قهرُ الصعابِ ، ولكنْ
علينا أنْ نقهرَ المستحيلا
نحنُ تاريخُنا ونحنُ ليلِ
ضحكت في يمينه إزميلا
فجرُ الكِبَرِ في جوانحنا زيتاً
والقى جراحنا قنديلا
هَمُّنا أنْ نمزّقَ الحُجُبَ السود
ضياءً ، ونكشفَ المجهولا
كثُفَتْنَا الحياةُ حتى كأنّا
ألفُ جيلٍ منها يعانقُ جيلا .

- ٢٠ -

أبدأ ، نخلقُ الوجودَ ونعطيه
حياةً ، كما نرى ونشاءُ
قطرت في أكفّنا فلقُ الصّخرِ
عبيراً ، واهتزّت الصحراءُ
قيل : كنّا ، فاخضرّ من شَغَفِ
حلمِ الليالي ، واخضرّت الأشياءُ .

- ٢١ -

منذ كنّا ، كنّا طغاةً على الذلّ
وكنّا في وجهه ثوارا
نتخطّى عنف الحياة وتُلقي
خلف خُطواتنا الشذى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسراراً
وشمخنا نلفّ بالعَبَق الدنيا
ونبني في جبهة الشمس داراً
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُماراً .

- ٢٢ -

ذاك مجدافنا يسيرُ إلى الشاطئ
في مهرجانه الممجّاحِ
لم تُلامِسْ شراعَه رِيشَةُ اليأسِ
ولا هَزَه ضجيجُ الرِّيحِ
ما روانا دَفَقُ الجراحِ ، ففينا
لمداها ، تَلَفَّتْ الملتاحِ
كلما اسْتَيْأَسَ الكفاحِ بصدرِ
جلجلت تستفزُّنا للكفاح .

- ٢٣ -

رَبِّ أُمِّ تَمِمْدُ كَفَاءً إِلَى الْأَرْضِ
وَكَفَاءً لَطْفِهَا الْمَقْرُورِ
لَمَحَتْ فِي صِرَاحِهِ لُغَةُ الْقَهْرِ
وَرُغِبَ الدُّنْيَا وَمَوْتَ الشُّعُورِ
وَرَأَتْ فِي جَبِينِهِ ثُورَةَ الْجُوعِ
وَأَطْيَافَ جَفْنِهَا الْمَذْعُورِ
فَانْحَنَتْ تَأْكُلُ التُّرَابَ وَتَسْتَفُّ
بِقَايَا مَوَائِدِ وَقَشُورِ .
وَعَلَى ثَغْرِهَا رَجَاءٌ : غَدًا تَخْضُرُ
أَرْضِي ، غَدًا يُضِيءُ سَرِيرِي .

- ٢٤ -

وَعَدًا تَلْعَبُ الطُّفُولَةُ بِالْوَرْدِ
وَتَنْمُو حَقُولُنَا وَتَفِيضُ
يَمْلَأُ الْخَيْرَ أَرْضُنَا ، فَإِذَا الشَّعْبُ
نَمُو ، وَقُوَّةٌ ، وَنَهْوضُ
وَإِذَا أَرْضُنَا مَنَائِرُ لَا تَخْبُو
وَدَفْقُ مَنْ الشَّذَى لَا يَغِيضُ
لَا مُكِبُّ عَلَى السُّؤَالِ وَلَا مُلْقَى
عَلَى شَاسِعِ الدُّرُوبِ مَرِيضُ

كلٌ فقيرٌ يفنى ، ويفنى مع الفقر
زمانٌ جهنمٌ وكونٌ بغيضٌ .

- ٢٥ -

... فإذا الكون كَوْنُنَا وإذا الدنيا
شمالاً لحبُّنَا ، ويمينُ
إنَّ خلقَ الحياة صعبٌ ، ولكن
كلَّ صعب ، إذا أردنا ، يهونُ .

- ٢٦ -

أنا شئتُ الزمان حلماً على جفني
وصوتاً مجلجلاً في شبابي
لي غدٌ كلما تلمَّسه الليل بباب
أطلَّ من ألف باب
فتحت كفه دروبي وأرستها
على التَّيه ، دفقةً من شهاب
أنا وجهُ المدى ، فكلَّ جمالٍ
في فؤادي يحيا وفي أهدابي
كلُّما أوماً التراب لأجفاني
تمثَّلتُ قوتِي في التراب .

- ٢٧ -

لبلادي أنا، لثورتها الكبرى
لأفاقها الفساح البواسم
لحقول... مواسم، تزرع الأرض
ربيعاً، تكلّمني يا مواسم!
ثورة من تفتّح الذات لا تطلع
إلا منائراً وملاحم.

- ٢٨ -

أنا فيها الفلاح أزرعها قمحاً
وورداً، وأقلع الأشواكا
سكتي تنطح الصخور، وتمشي
في الأحافير، نشوة وعراكا
وحقولي سنابل تفرع النجم
كأنّي زرعت فيها السماكا
قيّم باسم أمتي... لست مقطوعاً
ولا غاصباً ولا ملاكاً
أنا للشعب... أيها الشعب مجّدت
فلإني في كل شيء أراكا.

- ٢٩ -

أنا فيها الراعي... أطوف وأغنامي
ذراها وغابها ورباها
لي قلبٌ يُحسُّ خَلَجَ المجاهيل
ويصطاد في البعيد الآها
قلقٌ، يحرس القطيع وينقَضُ
على الرُعب، شامخاً تيّها
ومعي النَّاي - جُمعت فيه آفاق
بلادي : شطآنها وقراها
أُطْلِعُ اللَّحْنَ، لحنها فكأني
واضعٌ بين راحتيَّ إليها .

- ٣٠ -

كلها في دمي : تراباً وأجواءً
وزهراً، وصبيّةً وصبايا
سوّيتُ من رحابها الخضر أجفاني
وقُدَّتْ جوانحي ويدايا
أنا إنْ مِتُّ، لا أموت، فقد
ركُزْتُ في جبهة البقاء، خطايا
ربّما عشتُ في مزاميرها لحناً
وغلغلتُ في ذراها عشايا

كلّها في دمي ، وكلّي فيها :
صبيّة يعشقونها وصبايا .

- ٣١ -

أنا دربي طويلة كَغَدٍ يُقْبِلُ
كالكون ، في مداه الطويل
أنا دربي خضراء ، لوّنها قلبي
وغطّي جراحها تقبيلي
أنا دربي وثبّ على الموت خَطَافُ
وغدّ في المغلق المجهول
أنا جيل في أمّتي ، وأنا فردٌ
من الجيل ، بل أنا كلُّ جيل
أيّما كنت ، كنت في صدرها أحياء
وفي روحها الكبير الأصيل .

- ٣٢ -

أنا جريح مُضْمَخٌ بالبطولات
وضوء على الذرى مرشوق
أنا لي مشرق النجوم ومرساها
ولي أفقها الفسيح العميق
ولي البحر؛ شمسُهُ ودياجيه

ولغز في جانحيه عتيق
 أنا لي أمّتي : جمال وتاريخ
 ولي أرضها : غد وطريق
 لست وحدي ، فكلّها كلّ ما
 فيها ، نداء يضمّني ورفيق .

- ٣٣ -

أنا فيض من أمّتي وعتيق
 مرّ في كونها العتيق الجديد
 مطلق في كيانه ، فأنا فيها
 كيأن طلق بغير حدود
 كل فرد فيها أحس كأن
 جمّع فيه صدري ، وسال وريدي
 إن في الغير بعض نفسي ، وفي
 الآخر ، شرطاً ومنبعاً لوجودي .

- ٣٤ -

أنا لي نبضة الملايين في شعبي
 ولي هذه السّهول الفساح
 لي آهات أمّتي وأمانها
 ولي كبرياؤها والجراح

أنا ورد في هذه الأرض نَمَامَ
وعِطْرُ مَنْ أَمْتِي فَوَاحُ.

- ٣٥ -

أَنْ لِي أَنْ أَسْأَلَ نَفْسِي
من ليلٍ أليْفٍ ، ومن صباحٍ مُعَادٍ
أَنْ لِي أَنْ أَكُونَ نَفْسِي ، أَنْ أَحْيَا
وجودي ، وَأَمْتِي وبلادي
وأردُّ التاريخ شهقة جوعٍ
تتغذى من قبضتي وفؤادي .

- ٣٦ -

من هنا ، من بلادنا ، نحن أفلعنا
شراعاً ، وموجةً ، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاه السؤال
زرعت كبرياؤنا صور الحبِّ
وروداً وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان ، فما تبصرُ
إلا كواكباً وآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب

وارثُ الأجيال للأجيال .

- ٣٧ -

ها بلادي ، كأنَّ بغدادَ صارت
من دُرى الشَّامِ ، أو غدت لبنانا
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحقاً
وخلقنا للعالم الإنسانا

- ٣٨ -

من رأى الشمس تستفيقُ مع الشَّعبِ
وتشتاقُ مديَّ وضياءَ؟
من رآها تنكبُّ ظمأى على أرض
بلادي : صخرأً وظلاً وماءً؟
أَنَّ يا شمس أن تغرب في الأرض
وتُلقي عن صدرها الأعباءَ
عرفتُنا مراكباً تقهر الموج
وفأساً خلاقَةً خضراءَ
ورأتنا نسير فيها أساطير
ونحيا في قلبها أنبياءَ .

- ٣٩ -

ها رجعنا للكشفِ : تُنشرُ آفاقُ
عُصورٍ، وتُنطوي آفاقُ
سُفنٍ تقحم العباب... ففي اللجّ
دويّ مغامرٍ، خلاقُ
بعضها سنديانةٌ، بعضها أرزُ
وبعضُ مغامرون رفاقُ
تتغنّى بنا الشواطئُ، فاللحن
شموخٌ ونشوةٌ وانعتاق
كلّما فُضّ مغلقٌ في مداها
جذبتنا الأبعادُ والأعماق...

(1950-1949)

قصائد إلى الموت

حب

يُحِبُّنِي الطَّرِيقُ وَالْبَيْتُ
وَجُرَّةٌ فِي الْبَيْتِ حُمْرَاءُ
يَعِشْقُهَا الْمَاءُ

يَحِبُّنِي الْجَارُ
وَالْحَقْلُ وَالْبِيدَرُ وَالنَّارُ

تَحِبُّنِي سَوَاعِدُ تَكْدَحُ
تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا ، وَلَا تَفْرَحُ
وَمِزْقٌ مَنثورَةٌ مِنْ أَخِي
مِنْ صَدْرِهِ الْمَرْتَخِي
يَخْبِئُهَا السَّنْبِلُ وَالْمَوْسَمُ
عَقِيقَةٌ يَخْجَلُ مِنْهَا الدَّمُ .
كَانَ إِلَهُ الْحَبِّ مَذْكَ كُنْتُ -
مَا يَفْعَلُ الْحَبُّ ، إِذَا مَتَّ؟

أسوار

يضمّنا الموت إلى صدره
مُغامراً ، زاهدا
يحملنا سراً على سرّه
يجعل من كثرتنا واحدا .

الشمس

ما أغمضتُ عيناي إلا على
حلمٍ يسيرُ الموتُ في سيرهِ
ينام في الظلمةِ مُستغرقاً
ويطلع الشمسَ على غيره .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

— ١ —

أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابُ
أحبه سرّاً عصياً دفينُ
وجبهةً مغمورةً بالترابِ
أحبه صدرأ رميماً ، وطنينُ .

— ٢ —

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويبكي سكونُ
لأنَّ أبي مات ، أجذبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أغنيات الموت

- ١ -

كأنه الموت إذا مرّ بي
يخنقه الصمتُ ،
كأنه ينام إن نمتُ .

- ٢ -

يا يد الموت أطيلي حبلَ دربي
خطفَ المجهولُ قلبي ؛
يا يد الموت أطيلي
علني أكشف كنهَ المستحيل
وأرى العالمَ قُرْبِي .

أغنيات الحب

أوراق

- ١ -

قالوا : مشت ، فالحقل ، من وله
 متلبك ، والقمح يكتنز
 بُعث التناغم عبرَ خطواتها
 والهيدبي والوخد والرجز
 تُومي فيلتفت الصباح لها
 من لهفة ، ويتنغ العنز
 ما الوشم؟ ما النحرز؟
 ما الأقدمون السمر؟ لم يلجوا
 لُغزاً ، ولا اكتنوها ولا رمزوا ،
 لفتاتها تحز
 وجفونها وتر وأغنية
 صيفية ، وقميصها كرز .

- ٢ -

قال لي ، الآن ، صديّ منك :
« لا عمرَ للسرّ الذي يحكي
عنيّ أو عنك » .

- ٣ -

أحسّك في غريزة كَشَفِ
فأربط دقّ الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بلهفي .

- ٤ -

نُعرف كيف تعشق الفصولُ
نُعرف أيّ لغة تقولُ -
يا جهلها ، - الرياحُ والحقولُ .

- ٥ -

لا ، لا أخافُ -
لك ما سيبتكرُ اعترافُ .

بين عينيك وبينني

حينما أغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمل العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبينني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبك ، حتى كأن الحياة ابتكارٌ لحبي .
أحبك ، والضوء في ناظريك انزوى وانغمز
وشعرك شلالٌ تلج على كتفك انهمز .
كأنني أجزّ ورائي السنين وأستنفذ
وحولي في بيتنا سريرك والمقعد
ومعطفك الأسود
ونازك والموقد .

سألتك ، خليه ، خلي سراجك يستسلم
ويدفنه المنحبا المظلم ،

وقولي لعينيك أن تُغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلٌ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(15 شباط 1954)

يقولون إنني انتهيت

يقولون إنني انتهيتُ
ولم يبق في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتٌ .
أمرٌ على الورد ، ما همهُ
ضحكتُ له أو بكيتُ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوَّتْ به وأمَحيتُ .
أحبُّ أنا ، كم أحبُّ جمالي
وأعبدُ فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتُ .
ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتُ؟
ظمئتُ إلى موعد
وقفْتُ عليه غدي .
ظمئتُ لقلبٍ فسيحٍ عميقٍ

أفجره شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
وأتركه بين حيٍّ وميتٍ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتُ؟
يقولون إنني انتهيتُ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرُها
تجرّحني راحتها وبعبدني صدرُها
إذا شوكتها عافني تخطّفتني زهرُها .
يقولون إنني انتهيتُ
ولي الأعصرُ
إذا جثت في بالها تسكّرُ .
يقولون إنني انتهيتُ
وفي كلِ دربٍ
يُصفقُ لي ألف قلبٍ
ويضحك ظلٌ وبيتٌ .
شربتُ أنا كل قلبٍ ،
شربتُ ، كأني انتشيتُ ،
وقلتُ انجبلُ
يا وجودي ، وكن ما اشتهيتُ .

(دمشق 1957/7/7)

حدود اليأس

ياس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يجرّه مديدُ آهاته
تلطمه الحيرة أثنى مشى
كأنها سكنى لخطواته .
علّق بالغيب فأجفأه
رمليةُ الأفق
كأنما ، من يأسه ، شمسُه
تغيبُ في الشرق .

أغنية إله الطفولة

(مقاطع)

في السرير القَلَق الدافئ حُبٌ
يستفيقُ ،
هو للناس ترائيلُ ، وللشمس طريقُ .
للطفولة ،
تشرق الشمس خجوله ؛
في خطاها يصغر الكون الكبيرُ
ويضيئ الأبدُ ،
فلها الأرض غطاءً سَرمُذُ ،
ولها الدنيا سريرُ .

أنا بالأمس ، لي الآهاتُ بُيْتُ
ولي الفقر سراجُ والدَّم النَّازفُ زيتُ .
كنتُ كالظلّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدّمي ليلٌ وأجفاني نورُ .
يا طفولة ،
يا ربيعَ الزمن الشيخ وأذار الحياة ،

وهوى ماضٍ وأتِ ،
في غدٍ ، أنتِ صراعٌ لا يُحدّ ،
وطموحٌ لا يُردُّ .

وغداً أنتِ ميادين بطوله
تُشعّ الكون وتُبدّي وتُعيد ،
فيغنيك الكفاحُ
وتغنيك الجراحُ ،
ويغنيك الدّم البكر الجديدُ

يا طفوله
يا هوى ماضٍ وأتِ
يا ربيعَ الزّمنِ الشيخِ وأذار الحياة .

بيت

حكايةُ الأشباحِ في بيتنا
بعدُ ، على شفاهِنا تخطرُ ،
يُخْبِئُهَا المِحرّاثُ والبيدرُ ؛
فيه تَنَوَّرْنَا مسافاتنا
فيه حلمنا بالمجاهيل -
نقفز من كونٍ إلى آخرٍ
نطيرُ من جيلٍ إلى جيلٍ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيق
كأنما يفر من نفسه
كأنما تجفل منه الطريق .

المشردون

في أول العام الجديدِ
قالت لنا ،
أهائنا ، قالت لنا ،
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أو فاسكنوا خيمَ الجليلِ
فبلادكم ليست هنا .
نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،
فتهدّموا وتشردّوا
أكل الفراغ نداءنا ،
ومشى الأمام وراءنا
أيامنا جمدت على أشلائنا ،
وتقلّصت كدمائنا
صارت تعيشُ على الثواني ،
صارت تدور بلا زمان .

متشثّتون ، مضبّعون على الدروبِ

صُفْرَ السَّوَادِ وَالْقُلُوبِ
 وَالْجُوعِ كُلُّ نَدَائِنَا ،
 وَالرَّيْحُ بَعْضُ غَطَائِنَا
 حَتَّى الصَّبَاحِ يَفْرُ مِنْ آفَاقِنَا ،
 وَيَغِيضُ فِي أَحْدَاقِنَا
 أَقْلُوبُنَا ، رَفَقًا بِنَا ، لَا تَهْرَبِي
 وَتَقْحَمِي عَنفَ الْمَصِيرِ
 فِي الْجُوعِ ، فِي الْيَأْسِ الْمَرِيرِ ،
 وَهَنَا ، عَلَى هَذَا التَّرَابِ ، تَتَرَّبِي
 فَعْدًا ، يُقَالُ :
 مِنْ أَرْضِنَا طَلَعَ النُّضَالُ
 وَنَمَا عَلَى أَشْلَائِنَا
 وَنَدَائِنَا
 وَعَلَى تَلَفَّتِنَا الْبَعِيدِ
 لَغْدٍ جَدِيدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوكا ريشتي

امس، على ارضين مخضرتين
كتبت اشعاري في لحظتين
وشئتھا، على هوى ريشتي،
هنا سنونو، وهنا برعمين . . .

فجر

شمسك في مفاصلي
كالثلج ، كالحريقِ
يا قللاً يُولد في طريقي
يا فجرُ ، يا رفيقي .

حلم

في مهجتي تحيا معي قصةُ
 أولها أبعدُ من أن يبينُ
 أشمُ فيها من رُبى موطني
 رائحةُ التفاح والياسمينُ
 كأنما حروفها فُجِّرت
 من جَبَلِ صخرٍ وماءٍ معينٍ .

يا قصةُ تسير بي دريها
 إلى فضاء الزَّمنِ الأولِ ،
 ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعُ
 لِلزَّمنِ المُقبلِ ،
 تهدرُ في صدري أسرارهُ
 يَبيِّنُ لي فيه الذي لا يبينُ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ ،
محراثه يفتح أبوابه
للممكن الأغنى ،
يُبعر الفجر على حقله
يُعطي له معنى .
أمس رأيناه وفي دريه
من عرق النهار فوّارٌ ،
يعود للراحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ .

العباءة

في بيتنا عباءةٌ
فصلها عمرُ أبي
خَيطُها بالتَّعبِ .
تقولُ لي - كنتَ على حصيرِهِ
كالقُصْنِ المنجريدِ
وكنتَ في ضميرِهِ
غداً الغدِ .
في بيتنا عباءةٌ
مرميةٌ ، مبعثرة
تشدُّني لسقفهِ
لطينهِ للحجرِهِ
ألمح في ثوبها
ذراعهُ المختضنةُ
وقلبه ولهفةٌ في قلبه مُستوطنه
تحرصني تلفني تملأ دربي أدعيه
تتركني شَبَابَةً وغابةً وأغنية .

أفقي وعد ...

عابرٌ أحمل أيامي وبني
ظمًا الرمل وفي خطوي بحارُ
يا هوى ضيِّعني ، مرَّ على
حيرتي ، مرَّ على شطآنِها
وسلَّ الأصداف عن كُهانِها
أي سرُّ لي في أعماقيها
أي حلم لي في أجفانِها؟
هي في صدري تراتيلُ غدٍ
ويخورُ مذهبُ النار ، ونارُ -

من أنا ، أي هوى أحيا له؟
أفقي وعدٌ وعيناي انتظارُ .

شرق الجمال

كُلُّما مرَّ ببالي
أن أرى شرق الجمالِ
ودعاني الشَّفَقُ ،
تمَّحِّي ، عبْرَ خُطايَ ، الطُّرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أفقي
يا قَلقي ،
شدَّ على تجلدي ومزَّقِ
واعصفْ به وحرِّقِ ،
لعلَّ في رماده
أبتكرُ الفجرَ النقي .

فِي عَتَمَةِ الْأَشْيَاءِ

فِي عَتَمَةِ الْأَشْيَاءِ فِي سِرِّهَا
أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى
أَحَبُّ أَنْ أَسْتَبْطِنَ الْخَلْقَا
أَحَبُّ أَنْ أَشْرَدَ كَالظَّنِّ
كَغَرَبَةِ الْفَنِّ
كَالْمَبْهَمِ الْعُقْلِ وَغَيْرِ الْأَكِيدِ -
أَوْلَدُ فِي كُلِّ غَدٍ مِنْ جَدِيدٍ .

مسيرة

أَمْشِي وَتَمْشِي خَلْفِي الْآنَجْمُ
إِلَى غَدِ الْآنَجْمِ
وَالسَّرُّ، وَالْمَوْتُ وَمَا يُؤَلَّدُ
وَالْتَّعَبُ الْمَفْرَدُ
تُمِيتُ خُطَوَاتِي وَتُحْيِي دَمِي .

أَنَا الَّذِي لَمْ تَبْتَدِئْ دَرْبَهُ
بَعْدُ ، وَلَمْ يُرْصَدْ لَهُ مِنْجَمٌ —
أَمْشِي إِلَى ذَاتِي
إِلَى الْغَدِ الْآتِي ،
أَمْشِي وَتَمْشِي خَلْفِي الْآنَجْمُ .

المخاض

لِمَنْ يَفْتَحُ الْفَجْرُ شُبَّاكَ عَيْنِي
وَيَحْفَرُ فَوْقَ ضُلُوعِي طَرِيقَهُ
لِمَ الْمَوْتُ يَنْبُضُ مِثْلَ كَيَانِي
وَيُرِيطُ عُمْرِي بِخَفَقِ الثَّوَانِي؟
عَرَفْتُ: دَمِي رَجِمَ لِلزَّمَانِ
وَفِي شَفَتِي مَخَاضُ الْحَقِيقَةِ .

وحدة

وَحَدَّ بِي الْكُونُ فَأَجْفَانُهُ
تَلْبَسُ أَجْفَانِي ؛
وَحَدَّ بِي الْكُونُ ، بَحْرِيَّتِي
فَأَيْنَا يَبْتَكِرُ الثَّانِي ؟ .

رؤى

(مقاطع)

لِلْيَالِي فِينَا غَدٌ وَنَجْمٌ ؛
طَرَفٌ حُبْنًا لِكُلِّ سَمَاءٍ
وَمَدًى لَا نَحْدَهُ ، وَتَخْوَمُ .
لِلسَّوَى ، لِلزَّمانِ نَصْنَعُ لِلأَفَقِ دُرُوبًا ، وَلِلتَّرَابِ رِداءَ
وَنَسْوَى لِكُلِّ أَرْضٍ سَمَاءَ
يَا رُؤُونا لِلنَّاسِ وَالْأَرْضِ - عَيْنُ الْأَرْضِ تَاهَتْ
فَعَبَّرِي الْأَشْيَاءَ...

الثلج والذخان

(مقاطع)

قَضِيبٌ مِنَ الثَّلَجِ : نَارٌ وَتَبَعٌ
وغيَمٌ دَخَانِ
عَوَالِمٌ لَا تَنْتَهِي - وَهِيَ تَفْنَى
بِضْعِ ثَوَانِي .
أَوْشَوْشُهُ كُلِّ مَا بِي : ظَنِي وَحُلْمِي
وَمَا لَيْسَ تَجْرَوُ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنْهُ دَمُوعِي
أَغَالِبُهُ ، وَأَنَا فِي غِلَابِي أَغْنَى وَأَقْوَى
فَأَسْقُطُ فِي رَاحَتِهِ وَعِنْدَ خُطَاهِ الْحَفِيَّةِ عَضُوءاً فَعُضُوءاً ،
وَأَعِشْهُ كَالْفُجَاءَةِ ، بَغْتَةً
بِهَمْسٍ ، بَلْفَتَةٍ
لَمَحْتُ وَجُودِي يَدَبٌ إِلَيْهِ
عَلَى شَفْتِي ، عَلَى شَفْتِيهِ ،
فَلِي فِي الدُّخَانِ
دَمِي وَزَمَانِي...

الدرب (مقاطع)

في الحجر التَّائِه لَوْنُ القَلْبِ
لَوْنُ خِيَالٍ سَرَى ، -
مَنْ ، يَا تُرَى ،
مَرَّ هُنَا وَاحْتَرَقَ .

يَحْلُو لِحْطَوِي اللَّهَبُ الْأَحْمَرُ
يَحْلُو لَهُ الْمَجْدُ
وَكَلَّمَا طَالَ بِهِ الْبَعْدُ
يَعْلُو وَيَسْتَكْبِرُ ،
وَكَلَّمَا قَلْتُ لِدَرْبِي : تُرَى
إِلَى مَتَى عَبَّ السُّرَى وَالسُّرَى
مَتَى أَرَى الْمَشْتَهَى
وَأَبْلَغُ الْمُنْتَهَى
وَأَهْدَأُ ؟
قَالَتْ لِي الدَّرْبُ : هُنَا أَبْدَأُ .

عَوَافَة

(مقاطع)

حاجبُها كجرسٍ يَرِنُ
ملائنةٌ بغنبي
بواقعي وربي
بكلِّ ما أُكِنُّ .

تنظرُ، فالأحاجي
تُضيء كالسراجِ ؛
كأنها تعلقتُ
بهذبِ الزمانِ
فهي مع الصبّاحِ
والغيمِ والرياحِ
والصعبِ والمتاحِ ،
عقدةٌ كلُّ أن .

تُمسِك لي أصابعي وتُحدِّقُ
وتُطرقُ

وَتَلْجُ الْكَهَوفَا
وَتَنْبَشُ الْحُرُوفَا -
أَلَا اضْحَكِي ، أَلَا انْبُسِي
أَلَا اهْمُسِي ، -
هَذِي يَدِي - خُذِي يَدِي
خُذِي غَدِي
وَفَسِّرِي وَاجْتَهْدِي
وَوَشَّوْشِينِي وَاخْلُرِي
أَنْ تَجْهَرِي...

أبعاد غامضة

كلما لَمْتُ يدي أشياءها
وانحنَت كالسَّنبِلِ
كمدى لم ينجلِ ،
مَرَّ بي ضوءٌ حريريّ الخطى
شائكُ الدَّربِ ، وناداني سكُونُ —
وأنا بيتي في وجه الضَّحَى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجَرِ الضوء أنقش عُمرِي
وديعاً كحبة قَمْحٍ ؛
يُغَطِّي حُرُوفِي ضَبَابٌ
وفي كلماتي عِثْمَه .
لأنِّي حُبٌّ ،
أظِلُّ على الضوء أبني ، وتبني
معي حُفْنَةً من حياتي ولُقْمَةً .

أرض بلادي

أرض بلادي... كنتُ في وعيها
وكنْتَ نجواها وأعماقها ،
أبدؤها ، أعيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجراً ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يرى .
أرض بلادي قصّة لم تزل
تقلبُ كفُّ الكون أوراقها ،
تحملُها السَّمْس ، فإن أغلقتُ
أفاقها ، تفتحُ آفاقها...
خلاقتي ، فأَيُّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحبِّ خلاقها .

الغد

متى أرى : لي مشرقٌ جامعٌ
يبتكر الشمس ، ولي مغربٌ
متى أرى ، والكون لي ملعبٌ
والحبّ والعزّة لي ساعدان ؛
قلبي للثّورة مستنفرٌ
دقائقه صارت زمانَ الزّمان .

يَقِين

أَمَنْ قَلْبِي بِأُنَاشِيدِهِ
بِمَوْطِنِي : بِالسَّرُورِ وَالْيَاسْمِينِ ،
بِكُلِّ مَا فِيهِ ، بِكُلِّ الَّذِي
كُوِّنَ مِنْ مَاءٍ وَنَارٍ وَطِينٍ ،
بِأَمَّتِي... يُولَدُ فِي صَدْرِهَا
تَلَفَتْ الدُّنْيَا وَحَلُمُ السَّنِينِ .

مَا فِي دَمِي إِلَّا مَدَارَاتُهَا
مَفْتُوحَةٌ كَالْأَرْضِ ، مَبْسُوطَةٌ
عَلَى الْغَدِ الْآتِي ، عَلَى الْعَالَمِينَ ،
مَا فِي شَرَايِينِي غَيْرُ الْيَقِينِ .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغني :
«أنا الحبُّ يُؤثر عني
بوجهي محوتُ السّوادا
وصرت لكلّ بلادٍ بلادا –
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ» ، –
فقل أنا حرٌّ ، وقل أنتَ حرٌّ .

الجدجد

... ويقولون إنني لستُ كالغَيْرِ أَعْبُدُ
ليس في جبهتي حصيرٌ وركنٌ ومسجدُ
ويقولون : تائهٌ ويقولون : جُدجدُ
وتساءلتُ — هل تَبَخَّرَ في وجهي الغدُ؟
وتذكَّرتُ أنني كنتُ للشمس أنشدُ —
أنا في الشمس تائهٌ أنا للشمس جُدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذف أنشودتي
في أبد المسير ، تمجيدي
كلّ طريقي سفرّ دائم
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيما تنام الأشياء حولي ،
تَهْمِسُ لي بِأَسْمِهَا ، وفيما
تمنحني الحلم والأخوة ،
ترسمُ لي أغنياتِي
بلهيبِ النبوءة .

وجاء

يا شِعْرُ هَبْهُ أَنْ يَغْنِيَ مَعَ الْيَاسِ
وَيَعْتَادَ عَلَى النَّهَارِ ،
أَطْفَاتِ الْبَدْوِ فِي أَرْضِهِ
شَمُوعَهَا ، وَاحْتَرَقَتْ عَشْتَارُ .

عند نجمين

كلُّ بُرْهَةٍ
يُغسلُ المجهولَ وجهَهُ
بصلاتي
بينابيعِ حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُخبئُ العالمُ كُنْهَهُ .

صورة وصفية

كان في مثل طلعة الصبح -
عيناه اكتشافاً ووجهه تسبيحُ
خلجت مرةً يده ، فمرت
غيمةً وامّحت مع الغيم ريحُ .

حنين

فِي حَنِينٍ هُوَ غَيْرُ الْحَنِينِ
غَيْرُ الَّذِي يَمْلَأُ صَدْرَ السَّانِدِ
تَقْتَرِبُ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ كَأَنَّ
لَا تَعْرِفُ الْأَشْيَاءُ إِلَّاهُ
تَقُولُ - مَا شُيِّتَ لَوْلَاهُ؛

كَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ حَالِهِ
يَعْلُو وَيَمْتَدُّ وَلَا يَرْضَى
يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ نَفْسِهِ
وَيَحْضُنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَا .

دروب

أمسي غَدَّ والكونُ ترتيلةً
تذوبُ، - في وجهي وحبِّي تذوبُ؛
يولد في عيني معنى الضحى
تبدأ من نفسي كلَّ الدروبُ

الكاهنة

في جبهتي كاهنة أشعلت
بخورها واسترسلت تحلم
كأنما جفونها منجم .
كاهنة الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يولد
قولي - أفي عينيه ما يُعبّد؟

أعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمرِي عبيرُ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادي
تَنَاقَلُها كالصباحِ الرعاةُ ؛
رموها على الشمسِ قطعةَ فجرٍ نقيّ
وصلّوا عليها وماتوا -
إذا ضحك الموت في شفّتيك
بكت ، من حنينٍ إليك ، الحياةُ .

أوراق في الريح

(1960-1955)

أوراق فجا الريح

— ١ —

لأنني أمشي
أدركني نعشي .

— ٢ —

أسيرُ في الدَّرب التي تُوصلُ اللهَ
إلى الستائر المُسلَّة
لعلني أقدر أن أبدله .

— ٣ —

قالَ خَطُوي وَرَدَّدْتُ أَبْعادي :
«قد تكون الحياةُ أضيقَ من ثقبٍ صغيرٍ في كومةٍ من رمادٍ» .

— ٤ —

كاللعبِ
تركض في مفاصلي

كلّ رياح التَّعبِ ،
هل رُوِّعَتْ من لَهبي
فالتجأت لريشتي
واختبأتُ في كتبي؟

- ٥ -

حولي ، على وجه الضَّحَى ، صدأً
يغفو على بابي
في شكل أظفارٍ وأنيابٍ
أرئو له بغدي وأغسله
بدمي وأعصابي .

- ٦ -

الموعود المجهولُ في صمت العذابِ
إبرٌ تخيِّط لي إهابي .
عَمِيتْ دروبي : أين وَجْهُ الأفق يقرأ لي كتابي؟

- ٧ -

وطني يُغْلغلُ في متاهٍ أجردٍ
هذا غدٌّ؟ لا لستُ من هذا الغدِ .

- ٨ -

نهرُ العالم ارتوى
من سراديب رجسه
أرضه ، منذُ كُؤنت
أطفأتُ شمعة الغدِ ،
قال عنه تجددّي :
«أنا أجري بعكسه» .

- ٩ -

لكي تقول الحقيقة
غيرُ خطاك ، تهياً
لكي تصيرَ حريقه .

- ١٠ -

كلّ العالم فيّ جديدُ
حين أريدُ .

- ١١ -

لأنّه روى من دمه قوله
لأنّه أسمى
من كلّ من حوله ،

قالوا له : «أعمى»
وانتحلوا قوله .

— ١٢ —

حتى الخطيئة ،
تتلبس الصور المضئية
وتقول : «حدسي مطلق بكر ، وتجربتي بديته» .

— ١٣ —

يبتكرون الحياة بالعدد
بواحد جائع بدون يد ،
وأخر نصفه من الزبد :
لا يُبدع الرملُ أيُّ أغنيةٍ
ولا تحسُ الأشياءُ بالأبد .

— ١٤ —

يطغى بي الحلمُ
فأصيحُ من شغفٍ ،
وأكاد بالعبثِ الفضيّ أرتطمُ .

- ١٥ -

لا ، لا . أحبّ ، أحبّ أن أُنقا :
وبسطتُ أجنحتي ومنحّتها الأفقا
فتناثرت مِرَقًا...

- ١٦ -

بنثرةٍ من المَلَلِ ،
أردم كلَّ لحظةٍ
بُحيرةٍ من الأَمَلِ .

- ١٧ -

في جانحيّ دليلٌ
يسير بي للطريق
وفي الطريق رماذُ
يخبو ، ووهجُ حريق .

- ١٨ -

أمسحُ بانتظاري
عناكبَ الغُبارِ...

- ١٩ -

بعد غَدٍ أبني
بيتي بالأمسِ
وأمسٍ كالرَّمسِ :
وارحمةَ الشمسِ...

- ٢٠ -

قال لي تاريخي الغارسُ في الرِّفصِ جذوةٌ :
«كلما غبتَ عن العالمِ أدركتَ حضوره» .

- ٢١ -

ناضلُ حتى يصلُ الحجرُ
للشمسِ - لِمَا لَا يُنتظرُ .

- ٢٢ -

في الطَّاقةِ الخرزِيَّةِ
مازال خيطُ بصيصِ
من الضَّحَى ، وبقِيه .

- ٢٣ -

أصوغُ من وسادي المحجرِ

أغنيّتي وريشتي ودفتري .

— ٢٤ —

لا ، لم يُقَطَّفْ بعدُ الثَّمَرُ
فهو جنينٌ مُنتَظَرٌ...

— ٢٥ —

أجدرُ بالحاضرِ لو يُقَلَّبُ :
لو كعبُهُ يحلمُ ، أو يكتُـبُ...

— ٢٦ —

قال الرّبيعُ :
«حتى أنا في كل ثانيةٍ أضيعُها ، أضيعُ» .

— ٢٧ —

أنا بيتُ الضَّوءِ الذي لا يُضَاءُ :
قلقي شعلَةٌ على جبل التّيه
وحبّبي منارةٌ خضراءُ .

— ٢٨ —

في عروقي تغفو طواعيةُ الحلم ، وتبكي قيثارةُ الأشياءِ :

ما على الفجر لو ترسم خطوي
ما على الشمس ، لو تسير ورائي؟

— ٢٩ —

في بلادي تمشي أمامي حُفْرَه
صُنِعت من دم وعسف ومكر ،
في بلادي تُبنى السماء بشعرَه
وتُهدئ الدنيا بلطمة ظفر .

— ٣٠ —

رَقِصت بين جفوني الخائفة
جثة الليل وحرباء المدينة ،
فَتَقَنَعْتُ بعشتار الحزينة
ورسمتُ العاصفة .

— ٣١ —

أُمس ، فأره
حَفَرْتُ في رأسي الضائع حُفْرَه ؛
ربما ترغب أن تَسْكُن فيه
ربما تطمح أن تملك فيه
كل تيه

ربما ترغبُ أن تُصبحَ فِكْرُهُ...

- ٣٢ -

أَعْطِ لِلْفَارَةِ سَوْطاً
تَتَبَخَّرُ كَالطُّغَاةِ ،
رَحِمُ الْفَارَةِ مَزْحُومٌ بِذَنْبٍ وَبِشَاةٍ .

- ٣٣ -

شَدَّ عَلَى لِسَانِهِ وَكَمَّا
فَمَاتَ ، بَعْدَ بَرَهَةٍ ، أَصَمًّا .

- ٣٤ -

بَدَّلَ حَتَّى خَطَأَهُ
يَلَالَاهُ :
كَيْفَ يَصُوغُ مَبْدَأَهُ؟

- ٣٥ -

يَا وَجْهَ الْمُمْكِنِ ، وَجْهَ الْأَفْقِ
غَيْرَ شَمْسِكَ ، أَوْ فَاحْتَرَقِ ...

- ٣٦ -

أعْمَقُ أَنْ أَغْيِبَا -
أَنْ أَسْكُنَ الْغَرِيبَا ،
لَكِي أَصَوِّغَ شَكْلَ السُّؤَالِ ، أَوْ أَجِيبَا .

- ٣٧ -

هَذَا الْجِيلُ الطَّالِعُ بَعْدِي مِثْلَ هَدِيرِ الْأَشْيَاءِ
هَذَا الْجِيلُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ كُلَّ غَنَائِي
لَمْ يُوَلَدْ بَعْدَ ، وَلَكِنْ هَا هُوَ يَنْبِضُ فِي أَعْمَاقِ الْوَطَنِ
هَا هُوَ يَحْرِقُ ثَوْبَ الْعَقَنِ .
هَا هُوَ يَنْقُبُ سَدَّ الْأَمْسِ ،
بِيَدِ الشَّمْسِ ،
ذَاكَ الْجِيلُ الطَّالِعُ بَعْدِي مِثْلَ الْمَاءِ
مِثْلَ هَدِيرِ الْأَشْيَاءِ .

- ٣٨ -

قَلْبْتُ كُرْسِيَّ عَرْشِي :
فَحِينَ أَزْهَوِ وَأَلْهَوِ
أَصَوِّغُ ، فِي السَّرِّ ، نَعْشِي
وَحِينَ أَتَعَبُ ، أَمْشِي .

- ٣٩ -

تَيْبَسُ ، تَيْبَسُ أَعْصَابِي
كَالْقَشِّ ، كَفَأْسِ الْحَطَّابِ :
أَيَّ دَخِيلٍ تَحْتَ إِهَابِي ؟

- ٤٠ -

لَأَنَّهُ الْأَفْقُ صَدَى كُلُّهُ
قَلْبٌ مِنَ الْآتِي وَتَسْبِيحُ ،
لَا تَهْرُمُ الرِّيحُ .

- ٤١ -

أَرْقَبُ اللَّهَ عَنْ كَثْبِ
بَصْرِي نُورُ شَمْعَةٍ
وَحَنَائِيٍّ مِنْ لَهَبٍ :
وَحَلْدَهُ ، يَفْهَمُ التَّعَبُ .

- ٤٢ -

لَا أَنْحَنِي
إِلَّا لِأَحْضَنِ مَوْطِنِي
أَنَا صَدْرُ أُمِّ مَرْضَعٍ تَحْنُو ، وَجِبْهَةُ مُؤْمِنٍ .

— ٤٣ —

من يرى الموتَ مثلهُ والحياةَ ،
يكتب الليلَ والنهار بعينه
وتمحو أوراقه الممّحاة .

— ٤٤ —

لأنّه يحيا صدىً وأشتاتا ،
إحساسه ماتا .

— ٤٥ —

هذا العالمُ ، منذُ ابتداءً
لم يُطفئْ حتى... حتى الظُّمَأْ...

— ٤٦ —

يتكئُ السجْنُ على قملتين :
إحداهما حُبلى ، وتلك التي
ماتت ، تصبُّ الأكل في قَصْعَتَيْنِ .

— ٤٧ —

يا شَمْعَةَ المستقبل البصيرةَ ،
مالي أخاف الطُّرُق القصيرةَ ؟

— ٤٨ —

أحسَّ المغيَّب يَنْبِت قَرِيبِي :
خَطَايَا اكْتِشَافُ
وَسِيرِي أَبْعُدْ مِنْ كُلِّ دَرْبِ .

— ٤٩ —

قال الغد الحائرُ :
«إِنْ طَفَرَ اللَّحْنُ
مِنْ شَفَتِي طَائِرٌ ،
لَا يَطْرُبُ الْغَصْنَ» .

— ٥٠ —

هذا العالمُ : مِنْ يَنْبِيهِ
يَرْمِيهِ أَكْثَرَ فِي التَّيِّهِ .

— ٥١ —

رَأْسُهُ تَحْتَ وَجْهِهِ
وَالْعَصَا فَوْقَ رَأْسِهِ
تَتَلَهَّى بِرَأْسِهِ ،
وَاللَّيَالِي تَخْثَرُ
عَلَقًا مِلَّءَ نَفْسِهِ .

خلف عينيه قصّة
لم تُترجم حروفها
جذعها الشكّ والحذر
والمآسي قطوفها .
عمره شقّ حفرة
وسرايب تُبتكر
هو دنيا طويلة
برغيفين تُختصر .
غده خلف أمسه
وحناياه للتهرؤ والقيء مشتل ،
كادت الأرض تجفل
حين همّت بلمسه .

زمن الشمس في خطاه جليد محجّر
والتواني تفسّخت عبثاً لا يُفسّر
في ينابيع حدسه .

قلبه خيط سنبل
واختلاجاته قصب
رُبّ جفنين من حطب
رُففا عبر هجسه :
لا تقل مات يأسه

نبضه سرَّ يأسه .

— ٥٢ —

بعد الموتِ ،
لا صوتٌ يجسِّدُ لي صوتي .

— ٥٣ —

أتفهمني وأنا كالحياةِ عميقٌ بعيدٌ؟
وكيف تحقَّقتَ أني أحبُّ وأنني أريدُ
وفي رغبتِي للرياحِ مقرُّ وقطبُ
وفوق لساني حديدٌ؟
أتفهمني؟ لون عينيَّ شمسُ
ولونُ خطايَ جليدُ .

— ٥٤ —

أطعمِ الأيامَ زندكُ ،
تكبيرِ الأشياءِ بعدك .

— ٥٥ —

أعمقُ ما يفسِّرُ الأرضِ
حشرجةُ المرضى .

- ٥٦ -

أجبيء مع الناس للكونِ حلماً
وأذهبُ حلماً
وحسبي ، أضيفُ لهذا الوجودِ
صباحاً ، ورقةَ جَنَحَيْنِ ، واسماً .

- ٥٧ -

هُوذا ، يرفض أن يرقى
إلاً حرقاً ،
فيه نارٌ لا تخبر
فيه القلبُ .

- ٥٨ -

نوافذُ من الدموعِ هاجرتُ
وجبلٌ من الزنودِ غائرٌ
يرصدُّه الهواءُ والصنوبرُ الحزينُ ، كلَّ لحظةٍ .
وتينةٌ عتيقةٌ
جفونها من البكاءِ التصقت بساقِها
والصمْتُ سنٌ إبرَ النسيجِ :
خاطَ كفنَ الطيورِ
صار جرساً من الحُفَرِ .

خُيِّلَ لي كأنني

أسمعُ لغوَ طفلةٍ تسمّرت على السرير كُفها
وعَلِقَتْ جفونُها بخاطرٍ تحسبه فراشةً
أو كرةً أو لعبةً لم تلمح السماءُ مثل لونها .
خُيِّلَ لي كأنني في شهرٍ وفي سَمَرٍ
أجلس مع سيدةٍ تظنني حفيدَها
تأسرنا بالقصص الغريب كل ليلةٍ :
«جنّةُ المياه في غلالة من الدجى
تبدو لنا شرارةً أو شبحاً
تحبّنا ، تأخذنا لأرضها ،

تلبسنا ثيابها الريحية ، الخفية الخيوط .
وحارسُ القطيع في تلاله
تقتله الذئابُ أو يقتلها .
والفارس الجميلُ في هجومه
يقضي على غريمه بلفتةٍ
ويخطفُ الحبيبةَ الحلوة من خباثتها» .

خُيِّلَ لي كأنني

أمسِكُ شعرَ الزمن المسافر الذي عبّرَ
أجدله أعينه نوافذاً
وطفلةً صغيرةً وجدّةً

وأستعيد ما غَبَرُ .

— ٥٩ —

عِشْ أَلَقَاً وَابْتَكِرْ قَصِيدَةً وَامْضِ :
زِدْ سَعَةَ الْأَرْضِ .

(1957-1955)

قصيدة إلها الغريبة

أَسْأَلُ مَاذَا أَكْتُبُ
لزوجتي الغريبة - العاشقة الصَّغِيرَةُ
وورقي ، إذا حضرتُ ، يهربُ
وريشتي في طَرْفِ الجزيره
حمامةٌ تلتهبُ .
أَسْأَلُ مَاذَا أَكْتُبُ؟
غريبةٌ
أجفائها سلالِمٌ وجُدُرٌ
غريبةٌ لأنها تحبُّ غيرَ نفسها
لأنَّها تحيا لجارِ يائسٍ
لطفلةٍ شريدهٍ ،
لأنَّها ، الأعمى تقود خطوهُ
تفرشُ عينيها لَهُ
غريبةٌ لأنها تبدلُ كلَّ مقصَّله
بسنبلةٍ .
لأنَّها تحترقُ

لكي تجيء الطُّرُق .

أعرف أن حلمها يطولُ
أعرف أن شعرها يطولُ
أعرف أن سرّها يطولُ
أعرفها...

تختصرُ الأرض بخطوتين
تختصرُ الكونَ بلفتين .
أعرف أن بيتها ينتظرُ
ويسهرُ
وأنه التجربة الصّميّة
الطّالعة ، الآن ، غدا
وأنه الحب الذي يبتكر
ويسهرُ

أسألُ ماذا أنشدُ
لزوجتي ، لهذه الوالهة الخالقة الحبّ على مثالها ،
أسألُ ماذا أنشدُ
والحرفُ كم يُقيّدُ
كم يجهلُ الشعور في المفاصلِ المرهقةِ المرهقةِ
التي ترى ما لا يرى ، التي

تدلّ الصّبح كيف يُشرقُ
والشيء كيف ينطقُ
أسأل ماذا أنشدُ
لزوجتي لغدها المناضلِ
والحرف كم يُقيدُ
كم يجهل الشعور في المفاصلِ .

لها ، هنا النوافذ ، الوسادة الكتابُ والمجامرُ العتيقةُ الراسمةُ
الأفقَ بقوس قزحٍ
بالفرح ،
تنتظرُ
وتسهرُ
مثلي ، مثل بيتها تنتظرُ
وتسهرُ .

(بيروت 1956/12/4)

من الذاكرة

- ١ -

... كم نَفَضْنَا عن أغانينا الكآبه
وملأنا الأفق أجفاناً ، وصَحْنًا : يا سَحَابَه
أَمْطَرِينَا ،
نحن ذاك الموسمُ المنتظرُ
والزَّهْرُ ،
غافلينا ،
وافتحى قُرْبَتِكَ المَلَأَى وصَبَّيْهَا عَلَيْنَا
يا سَحَابَه
يا التي جاءت من البحر إلينا .

- ٢ -

... في النَّهْرِ جَرِينَا
كالقصبَاتِ
صِرْنَا حَبِيباً ، صِرْنَا ماءً وتَخَفُّيْنَا
في أحضان الجَنِيَّاتِ .

... في الأعياد
أشعلنا الشمع وصلينا
وتمنينا
فرأينا الله بلا ميعاد .

كلمات للياس

حين يُواخي صمتها المنزلُ :
لا عشبَ ، لا قُبْرَ ، لا ندى ،
تفتح أهدابها
تفتح شبّاكها
للشمس ... لكن ، قبلها ، تدخل
فراشةً محروقةً أو صدى .

الأطفال

في غبار الصَّلوات
غرق الفجر ومات
لكنَّ الأطفال
نبعَّ يحمل وجه الشَّمس
من أمواج الأَمْس
في شلال .

اللوحة الأولى

عند بيتنا يطلع النهار
وجهه طاباً في يد الصَّغار
وفي شفاة المدينه
جرَسٌ للعويل
من ثلاثين جيل :
- «منسَمِّي عمَّنَا
اللّي بياخذ أَمَّنَا» .
- «بس الحالة ما بتنطاق...» .

— «يا لله... الدهر دولاب» .

ضاع وجه المدينة

في فراغ ذليل .

وبكاء الأطفال

يفتح باب الفجر

وبكاء الأطفال

مطر الأرض وقود العمر .

اللوحة الثانية

لو جرحنا الصلوات

وغسلنا بدماء الكلمات

فجر الأطفال ،

لو كفرنا

ودفنا الماضي في سروال

باسم الأطفال .

في القدم الحافية الصغيرة

خمس مسامير ورقصتان

والدرب شبّاك على جزيره

حدودها الجراح والأغاني .

والشارع يوم لا يحيا

إلا نعشاً أو وحيا :

— «الله الحي الباقي . . .»

— «عفوك عفوك يا الله» .

والكفن الأبيض في الطريق

والكفن الأبيض في التراب

والكفن الأبيض كالغراب .

يا ليت . . . لو نفيق

لو جرحنا الصلوات

وغسلنا بدماء الكلمات

فجر الأطفال .

سبعين جيلاً نطمس الطريق

نركض في سواه

— «ما البيت ، ما الجباه؟»

— «كهفان من وحل ومن صقيع» .

لكن الأطفال

روح تجري صوب الله

وتقول : تعال

ألحي قبور يا الله

ألحي رمال .

وغداً في البيت

يُبْدَلُ وَجْهُ الْمَيِّتِ
بِسِرِيرٍ أَوْ سِرْوَالٍ
لِلْأَطْفَالِ .

اللوحة الثالثة

– «رورو ابن السنونة السوداء
أجا الصَّبَحِ سَلَمَ عَلَيَّيْ وَطَارَ
يَا رورو لَوَيْنَ بِتَرْوَحْ؟
جَبِلِي مَعَكَ شَقِيقَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَطِيرُ فِيهَا هُون . . .»

وَيَطِيرُ الْأَطْفَالُ
خَلْفَ غَزَالٍ أَوْ خَيْالٍ
وَيَنَامُونَ
بَيْنَ الْأَنْجَمِ فِي سِرْوَالٍ .
وَهَنَّاكَ عَيُونُ
تَتَبَسُّ فِي حُلُمٍ مَجْنُونٍ :

– مَن هَا هُنَا؟
– لَا ضَوْءَ لَا سِتَارَ
فِي الْغُرْفَةِ الْمَلِيئَةِ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَاعَةٌ بِطَيْثِهِ .

— مَنْ هَا هُنَا؟

وتوقَّفنا

وتسَوَّلنا . . .

كان المطعم ذئباً يَسْكُرُ

وتمزَّقنا .

— مَنْ هَا هُنَا؟

وانكسرت في نبعنا الجرار .

وليس في دروبنا المليئه

بالوعد والصنخور

إلا مفاتيح من البخور

لقفص الخطيئه .

غرق الفجر ومات

في غبار الصلوات .

لكن...

لكن في التَّخمين

في خطرات البال

يصعدُ من آبار الطَّين

وجه الأطفال .

(بيروت ، 1958)

مزامير الإله الضائع

- ١ -

هذا الجسدُ
سحرٌ أغوى الأرضا
ألا ترضى
ولهيبُ تشه لا يبتدُ ، -
من أطفال الجسد الأبد .
فيه نُغرسُ ، فيه نُقطفُ
فيه ما لا يُعرفُ ، يُعرف .
معبدٌ قلبي ، معبد شعري ، معبد عمري
أعصابي فيه تُوقد مثل بخور الكاهن ، مثل الجمر :
أه نداء الكاهن أه ندائي
يصعدُ يصعدُ حتى وجه القمر الآخر ، حتى أبعُد .

- ٢ -

فخذاك لذائد حُمائيته
لم تُكشَف ، لم تُعرف بعدُ

فيها يسبحُ فيها يعدو
ويُقاسِمُها كلَّ ثنيةٍ
ليلُ الغاباتِ الوحشيةِ
فخذاكِ وبينهما تنمو
أغراسُ الجنسِ البحريةِ
في كلِّ تويجٍ سنفونيةٍ
فخذاكِ وبينهما القبلُ
والعشاقُ السمرُ الأولُ
والأبطالُ
وفتوحاتُ
فخذاكِ ، وبينهما الأجيالُ
شيءٌ يُحْضَنُ ، يُعْشَقُ يُعْبَدُ ، كيف يُقالُ؟

عَرِّي فخذيكِ ، أزيحي التينَ
يُسْقِشِقْ نبعٌ ، يُفْتَحْ أَفْقُ
وتصيرُ أقماراً حتى الخِرْقُ .

يا شهدي ، يا شهدَ الشهوه
يا أرضاً تُجْنى في خلوه
يا قبّه
فيها كلُّ نجيٍّ يَشْهَدُ ربّه .

يا قصرأ يعلو تحت الزُّعْب
 في أحشائِك تيه يجرفُ رَمَلَ التَّعَبِ
 في أحشائِك أحيا موج الجنسِ ، أكابدُ سورةَ مَدَّةِ
 أَرْدُ العالَمَ في لاحدَه .
 في أحشائِك أعرف أوقن أن الآتي
 سِرُّ حياتي .
 فيكِ أصورُ أبداع ، أغلى أثاري
 أوضح أعم أسراري ،
 فيك أنشئُ ، فيك أحقق أن اللهَ
 لا يتناهى .

— ٤ —

حِقْوَاك مرافئُ ، والنَّهْدان تُخومُ سُمُرُ فوق البصرِ
 منحوتان بلفح الشررِ ،
 وعلى السِّرةِ ، كلَّ حدودِ الشَّهوةِ
 كلَّ الشَّهوةِ فترُ
 أكثر من أرقام الفكرِ
 وأصغر أضيق منها الفكرُ .
 هذا الجسدُ
 فيه يحيا الميتُ
 والثَّورة تحيا والرفُضُ

ويقول الأَبَكمُ : عَنَيْتُ
 وله ينمو ، ينمو العَدْدُ
 وتدور الأرضُ .
 نامي ، زندي وَلِدَ الآنَ ،
 وقلبي مثل الطفل يصيحُ
 نامي تتلقَّفُك الرِّيحُ
 تعصفُ ، تهدأُ ، تأتي تمضي
 مثلَ الومض .
 نامي في أحشائي نارٌ فيها وَخْزُ
 أنت وجودي أنت الرَّمْزُ .
 يا كلَّ حياتي يا إيداناً
 بوجودي أن يتعمَّق غيبَةٌ
 يا شمساً تنحرق تحرق ربيَّة
 يا مجهولي ، نامي ، أن مسيري نحو الله
 الضائع ، أن وصولي .

(بيروت ، 1956)

القافلة

تَصْعَدُ فِي سَفِينَةِ النِّسَاءِ
تَصْعَدُ فِي مَعْرَاجٍ
لَا أَرْضَ لَا سَمَاءَ
تَسْأَلُهَا ، مَنْ أَيْنَ؟
قَافِلَةٌ مِنْ جِثِّ الْأَمْوَاجِ
لَا شَيْءَ لَا إِلَهَ
يَسْأَلُهَا ، مَنْ أَيْنَ؟
تَكْتُبُ فَوْقَ الصَّخْرِ :
«حِينَ يَمُوتُ الْبَحْرُ
يُبْعَثُ فِي نَهْدَيْنِ» .

ظِلَّة

— «لَيْقِفْ ، وَلِيَبْقَ خَلْفَ الْعَتَبَةِ
هو لا يقدر أن يعبرها ،
إنَّ بيتي غابةٌ ملتهبه
وهو لن يجزؤ — لن يعبرها» .

خافَ من ظلٍّ على تاريخه
تركته روحه المغتربة
خاف أن يذكرها
حُفِرَتْ أَمْسٍ على تابوته
كلماتٌ ...
هو أوصانا لكي نحفرها :
« مات كي يقدر أن يذكرها» .

أغاني مهيار الدمشقي

(1961-1960)

إلى خالدة

«لماذا لا تكفينني أيتها الشمسُ الجميلة؟»

وفجأةً يأتي ، يسقط علينا الموقظُ
الغريبُ
الصّوتُ الذي يخلق النّاس .

هولدير لين

فارس الكلمات الفريجة

مزمور

يُقبل أعزل كالغابة وكالغيم لا يُردّ ، وأمس حملَ قارّة ونقل البحر من مكانه .

يرسم قفا النهار . يصنع من قدميه نهراً ويستعير حذاء الليل ثم ينتظر ما لا يأتي . إنه فيزياء الأشياء — يعرفها ويسمّيها بأسماء لا ييوح بها . إنه الواقع ونقيضه ، الحياةً وغيرها .

حيث يصير الحجر بحيرة والظلّ مدينةً ، يحيا — يحيا ويضلل اليأس ، ماحياً فسحة الأمل ، راقصاً للتراب كي يتشاب ، وللشجر كي ينام .

وها هو يُعلن تقاطع الأطراف ، ناقشاً على جبين عصرنا علامة السّحر . يملأ الحياة ولا يراه أحد . يُصير الحياة زبدًا ويغوص فيه . يحول الغد إلى طريقةٍ ويعدو يائساً وراءها . محفورةً كلماته في اتجاه الضياع الضياع . والحيرة وطنه ، لكنه مليءٌ بالعيون .

يُرعب ويُنعش

يرشح فاجعٌ ويفيض سُخريةٌ

يُفسّر الإنسان كالبصلة .

إنه الريح لا ترجع القهقري والماء لا يعود إلى منبعه . يخلق نوعه بدءاً من نفسه — لا أسلافَ له وفي خطواته جذوره .
يمشي في الهاوية وله قامة الريح .

ليس نجماً

ليس نجماً ليس إichاء نبي
ليس وجهاً خاشعاً للقمر -
هوذا يأتي كرمح وثني
غازياً أرض الحروف
نازلاً - يرفع للشمس نزيقة ؛
هوذا يلبس عُرِّيَ الحجرِ
ويصلِّي للكهوف

هوذا يحتضنُ الأرض الخفيفة .

ملك مهيار

مَلِكُ مَهْيَارِ
مَلِكُ وَالْحَلْمُ لَهُ قَصْرٌ وَحَدَائِقُ نَارُ
وَالْيَوْمَ شِكَاةٌ لِلْكَلِمَاتِ
صَوْتُ مَاتٍ ؛
مَلِكُ مَهْيَارِ
يَحْيَا فِي مَلَكُوتِ الرِّيحِ
وَيَمْلِكُ فِي أَرْضِ الْأَسْرَارِ .

صوت

مهيأُ وجهُ خائنه عاشقوه
مهيأُ أجراسُ بلا رنين
مهيأُ مكتوبٌ على الوجوه
أغنيةٌ تزورنا خلسةً
في طُرُقٍ بيضاءٍ منفيّةٍ ،
مهيأُ ناقوسٌ من التائهين
في هذه الأرض الجليليّة .

صوت آخر

ضَبَعَ خَيْطَ الْأَشْيَاءِ وَانْطَفَأَتْ
نَجْمَةٌ إِحْسَاسُهُ وَمَا عَثَرَ
حَتَّى إِذَا صَارَ خَطْوُهُ حَجَرًا
وَقَوَّرَتْ وَجَنَّتَاهُ مِنْ مَلَلٍ ،
جَمَعَ أَشْلَاءَهُ عَلَى مَهَلٍ ،
جَمَعَهَا لِلْحَيَاةِ ، وَانْتَشَرَا .

تولد عیناه

في الصخرة المجنونة الدائرة
تبحث عن سيزيف ،
تولد عیناه ،

تولد عیناه
في العين المطفأة الحائرة
تسأل عن أزيان ،
تولد عیناه
في سفر يسيل كالنزيف
من جثة المكان ،
في عالم يلبس وجه الموت
لا لغة تعبره لا صوت -
تولد عیناه .

الأيام

تعبت عيناهُ من الأيام
تعبت عيناهُ بلا أيام
هل يثقب جُدران الأيام
يبحثُ عن يومٍ آخرُ -
أهنا أهنا لك يومٌ آخرُ؟

دعوة للموت

(أصوات)

يضرُّنا مهيارُ
يخرقُ فينا قشرة الحياة
والصبرَ والملاحمِ الوديعة ،
فاستسلمي للرعبِ والفجيعة
يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة
واستسلمي للنار .

صوت

يَهْبِطُ بَيْنَ الْمَجَازِيفِ بَيْنَ الصَّنُحُورِ
يَتَلَاقِي مَعَ التَّائِهِينَ
فِي جِرَارِ الْعَرَائِسِ
فِي وَشُوشَاتِ الْمَحَارِ؛
يُعلنُ بَعَثَ الْجَذُورِ
بَعَثَ أَعْرَاسِنَا وَالْمَرَافِقِ وَالْمُنْشِدِينَ -
يُعلنُ بَعَثَ الْبَحَارِ .

قناع الأغنيات

باسم تاريخه في بلاد الوحون
يأكل ، حين يجوع ، جبينه
ويموت وتجهل كيف يموت الفصول
خلف هذا القناع الطويل
من الأغنيات .

إنه البذرة الأمانة
إنه ساكن في قرار الحياة .

مدينة الأنصار

- ١ -

لاقيه يا مدينة الأنصار
بالشوك ، أو لاقيه بالحجار
وعلق يديه
قوساً يمر القبر
من تحتها ، وتوجي صدغيه
بالوشم أو بالجمر -
وليخترق مهيار .

- ٢ -

أكثر من زيتونة ونهر
ونسمة تروح أو تجيء
أكثر من جزيرة وغابه
أكثر من سحابة
تركض في طريقه البطيء
تقرأ ، في سريرها ، كتابه .

العهد الجديد

يجهلُ أن يتكلّم هذا الكلام
يجهل صوت البراري ،
إنه كاهنٌ حجريُّ النعاسِ
إنه مُثَقِّلٌ باللغات البعيدة .

هوذا يتقدّم تحت الركّام
في مناخ الحروف الجديدة
مانحاً شعره للرياح الكثيبه
خشناً ساحراً كالنحاس .

إنه لغةٌ تتموّج بين الصواري
إنه فارس الكلمات الغريبه .

بين الصدى والنداء

بين الصدى والنداء يختبئُ
تحت صقيع الحروف يختبئُ
في لهفة التائهين يختبئُ
في الموج ، بين الأصداف يختبئُ ،

وحينما يُغلق الصباحُ على
عينيه أبوابه وينطفئُ ،
يُلجئُ مصباحه إلى جبلٍ
ضيقه يأسسه ، ويلتجئُ .

الجرس

النَّخِيلُ انحنى
والنَّهَارُ انحنى والمساءُ —
إنه مُقْبِلٌ ، إنه مثْلُنَا ؛
غير أنَّ السَّمَاءَ
رفعت باسمه سَقْفَهَا الممطرا
ودنتْ كي تُلْغِي
وجهه ، فوقْنَا ، جرساً أخضرا .

آخر السماء

يحلم أن يرمي عينيه في
قراءة المدينة الآتية
يحلم أن يرقص في الهاوية
يحلم أن يجهل أيامه الأكلة الأشياء
أيامه الخالقة الأشياء ؛
يحلم أن ينهض أن ينهار
كالبحر - أن يستعجل الأسرار
مبتدئاً سماءه في آخر السماء .

وجه مهيار

وجهُ مهيار نازٍ
تحرّقُ أرضُ النجوم الأليفه ،
هوذا يتخطّى تخومَ الخليفه
رافعاً بَيِّرقَ الأفولِ
هادماً كلَّ دارٍ ؛
هوذا يرفُضُ الإمامه
تاركاً يأسَه علامه
فوق وجه الفصول .

الحيرة

(أصوات)

لأنه يحاز
علّمنا أن نقرأ الغبار
لأنه يحاز
مرّت على بحارنا سحابة
من ناره من عطش الأجيال .

لأنه يحاز
أعطى لنا الخيال
أقلامه ، أعطى لنا كتابه .

ينام فجا يديه

يمدّ راحتيه
للوطن الميت للشوارع الخرساء
وحينما يلتصق الموتُ بناظره
يلبسُ جلدَ الأرض والأشياء
ينامُ في يديه .

يحملُ في عينية

يأخذُ من عينية
لألاءَ؛ من آخر الأيام والرياح
شرارةً؛ يأخذ من يديه
من جُزُرِ الأمطارِ
جبلةً ويخلق الصباحَ .

أعرفه — يحملُ في عينية
نبوةَ البحارِ
سمانيَّ التاريخِ والقصيدةَ
الغاسلةَ المكانَ ،

أعرفه — سمانيَّ الطوفانَ .

توأم النهار

أَلَّيْلُ أَبْوَابٍ وَسَاحِرَاتِ
فِي رَتْنِي مَهْيَارُ
فِي وَجْهِهِ الْأَصْفَرِ فِي يَدَيْهِ .
مُتٌ مِثْلُنَا ضَعُ مَعَنَا يَا أَدَمَ الْحَيَاةِ
أَبْحِرْ بِنَا إِلَى
نَسْتَأْفُهُ نَحْيَا لَهُ - مَهْيَارُ
تَوَامُنَا وَتَوَامُ النَّهَارِ .

الآخرون

عرف الآخرين
 فرمى صخره فوقهم واستدار
 حاملاً غُرّة النهار
 والسنين التي تُهرول عُذْرِيَّةَ الجنين .
 وجهه عالق بالحدود الغريبة
 ينحني فوقها ويضيء ؛
 حيث لا يلتقي بسواه يجيء
 حيث لا يلمح الآخرين استدار
 حاملاً غُرّة النهار
 ماحياً صَفْحَةَ السماء القريبه .

البربريا القديم

ذاك مهيار قديسك البربري
يا بلاد الروى والحنين ،
حامل جبهتي لابس شفتي
ضد هذا الزمان الصغير على التائهين .

ذاك مهيار قديسك البربري -
تحت أظفاره دم وإله ؛
إنه الخالق الشقي
إن أحببته من رأوه وتاهوا .

ساحر الفجار

مزمور

أحمل هاويتي وأمشي . أطمس الدروب التي تتناهي ؛ أفتح الدروب
الطويلة كالهواء والتراب — خالقاً من خطواتي أعداء لي ، أعداء في
مستواي . وسادتي الهاوية والخرائب شفيعتي .

إنني الموت ، حقاً .

التأبين صيغتي — أمحو وأنتظر من يمحوني . لا شذوذ في دُخاني
وسخري . هكذا أعيش في ذاكرة الهواء .

أكتشف نبرة لعصرنا وغنة —

عصرٌ يفتت كالرمل يتلاحم كالتوتياء ؛ عصر السحاب المسمي قطيعاً
والصفائح المسماة أدمغة . عصر الخضوع والسراب ، عصر الدمية والفزاعة ،
عصر اللحظة الشرهة ، عصر انحدار لا قرار له .

ولا شريانٌ عندي لهذا العصر — إنني مُبعثرٌ ولا شيء يجمعني .

أخلق شهوةً كلهاث التنين .

أعيش خفيةً في أحضان شمسٍ تأتي . أحتمي بطفولة الليل تاركاً
رأسي فوق ركبة الصباح . أخرجُ وأكتب أسفار الخروج ولا ميعاد ينتظرنني .

إنني نبيُّ وشكّاك .

أعجن خميرة السقوط ، أترك الماضي في سقوطه وأختار نفسي . أفلطحُ
العصر وأصفّحه ، أناديه — أيها العملاق المسنّخ أيها المسخ العملاق
وأضحك وأبكي .

إنني حجةٌ ضدّ العصر .

أمحو الآثار والبقع في داخلي . أغسل داخلي وأبقيه فارغاً ونظيفاً .
هكذا تحت نفسي أحيأ .

بالنزيف تتغذى عروقي ولا مكان لي بين الموتى . الحياةُ ضحيةٌ ولا
أعرف أن أموت — إنّ زمني خفيٌ وتحت العيون ، وأمس دخلت في طقس
الموج وكان الماء لهيبي .

إنني عَجولٌ والموتُ يتبعني حاشداً رياحه بين عيني . أضحك معه
وأبكي في رقة الهدب — آه الموتُ المهرجُ الموتُ الباكي .

أعرف أنني في شرخ الموت ، أتبطن القبر وأخننُ كلماتي ، لكنني
حيٌّ — يعرف هذا غيري ،

أهجم وأستأصل ، أعبّر وأزدري . حيث أعبّر يسقط شلالٌ عالم آخر ،
وحيث أعبّر الموتُ واللا ممرٌ ،

وسأبقى ؛ فأنا مُسيحٌ بنفسي .

الجُرم

1

ألورقُ النَّائم تحت الريحِ
سفينةٌ للجرحِ
والزَّمنُ الهالك مجدُّ الجرحِ
والشَّجر الطالع في أهدابنا
بحيرةٌ للجرحِ .
والجرحُ في الجسورِ
حين يطول القبرُ
حين يطول الصَّبْرُ
بين ضيفافِ حَبْنَا وموتِنَا ، والجرحِ
إيماءةٌ والجرحُ في العبورِ .

2

للغةِ المخنوقةِ الأجراسِ
أمنح صوتَ الجُرحِ
للحجرِ المقبل من بعيدٍ

للعالم اليابسِ لليباسِ
للزمن المحمول في نقالة الجليدِ
أشعل نار الجرح ؛
وحينما يحترق التاريخ في ثيابي
وتنبت الأظافر الزرقاء في كتابي
وحينما أصبحُ بالنهار -
من أنت ، من يرميك في دفاتري
في أرضيَ البتول؟
ألمح في دفاتري في أرضيَ البتول
عينين من غبارٍ
أسمع من يقولُ :
«أنا هو الجرح الذي يصيرُ
يكبر في تاريخك الصغير» .

3

سميتُكَ السحابِ
يا جرحُ يا يمامةَ الرحيلِ
سميتُكَ الريشةَ والكتابِ
وها أنا أبتدئُ الحوارَ
بيني وبين اللغة العريقة
في جُزر الأسفار

في أرخبيل السَّقْطَةِ العريقه
وها أنا أعلمُ الحوَارَ
للريح والنخيلِ
يا جرحُ يا يمامةَ الرحيلِ .

4

لو كان لي في وطن الأحلام والمرايا
مرافقٌ ، لو كان لي سفينةُ
لو أن لي بقايا
مدينةٍ لو أن لي مدينه
في وطن الأطفال والبكاء ،
لَصَغْتُ هذا كله للجرحِ
أغنيةً كالرمحِ
تخترق الأشجار والحجار والسماءَ
لينةً كالماءِ
جامحةً مذهولةً كالفتحِ .

5

أمطرُ على صحرائنا
يا عالماً مزيناً بالحلم والحنينِ
أمطرُ ، ولكن هُزْنَا ، نحن ، نخيل الجرحِ

واكسر لنا عُصَينُ
من شَجَرٍ يَعشَقُ صمتَ الجرحِ
مَقوَّسُ الأهدابِ واليدينِ .
يا عالماً مزيناً بالحلمِ والحنينِ
يا عالماً يسقط في جبينِي
مرتسماً كالجرحِ
لا تقتربْ ، أقربُ منك الجرحُ
لا تُغرِني ، أجملُ منك الجرحُ
وذلك السحر الذي رمتهُ
عيناك في الممالكِ الأخيره
مرَّ عليه الجرحُ
مرَّ فلم يترك له شراعاً
يُغوي ، ولم يترك له جزيره .

مات إله ...

مات إله كان من هُناكَ
يهبط ، من جمجمة السماء .
لَرُبَّما في الذعر والهلاكِ
في اليأس في المتاه
يصعد من أعماقي الإله ؛
لَرُبَّما ، فالأرض لي سريرٌ وزوجةٌ
والعالم انحناء .

الضياع

أضيعُ ، أرمي للضحى وجهي وللغبار
أرميه للجنون
عيناي من عشبٍ ومن حريق
عيناي راياتٌ وراحلون .

أضيع أرمي للضحى وجهي وللغبار
أولد في نهاية الطريق
أصرخ - فليصرخ معي الطريق والغبار :

أله ، ما أجمل ما يضيع بي وجهي وأن أضيع
ممتلئاً بالنار ،
يا قبر يا نهايتي في أول الربيع .

حجر

أعشق هذا الحجرَ الوادعا
رأيتُ وجهي في تقاطيعه
رأيتُ فيه شعري الضائعا .

السقوط

أعيش بين النار والطاعون
مع لغتي - مع هذه العوالم الخرساء
أعيش في حديقة التفاح والسماء
في الفرح الأول والقنوط
بين يدي حواء -
سيد ذلك الشجر الملعون
وسيد الثمار؛

أعيش بين الغيم والشرار
في حجر يكبر، في كتاب
يعلم الأسرار والسقوط .

حوار

— «من أنت ، من تختارُ يا مهيأز؟
أنى اتجهت ، اللهُ أو هاويةُ الشيطانُ
هاويةٌ تذهب أو هاويةٌ تَجِيءُ
والعالم اختيارٌ» .
— «لا الله أختار ولا الشيطانُ
كلاهما جدارُ
كلاهما يُغلق لي عينيَّ —
هل أبدل الجدار بالجدارُ
وحيرتي حيرة من يُضيءُ
حيرةٌ من يعرف كلَّ شيءٍ ...» .

لغة الخطيئة

أحرق ميراثي ، أقول أرضي
يَكُرُّ ، ولا قبورَ في شبابي
أعبر فوقَ الله والشیطانُ
دربي أنا أبعدُ من دروب
الإله والشیطانُ –

أعبر في كتابي
في موكب الصاعقة المضيئة
في موكب الصاعقة الخضراء
أهتفُ – لا جنَّةَ لا سقوط بعدي
وأمحو لغة الخطيئة .

ملك الرياح

طَرَفَ رايَتي لا تُؤاخي ولا تتلاقى
طَرَفَ أغنياتي .
ها أنا أحشد الزهور وأستنفر الشجرَ
وأمدُّ السماء رواقاً
وأحب وأحيا وأولدُ في كِلِماتي
ها أنا أجمع الفَرَاشات تحت لواء الصباح
وأرَيِّي الثمارَ
وأبيت أنا والمطرَ
في الغيوم وأجراسِها ، في البحارِ ؛
ها أنا أشرع النجومَ وأرسي
وأنصبُّ نفسي
مَلِكاً للرياح .

الصخرة

رضيتُ بما شئتِه : أغنياتي
خبزي ومملكتي كلماتي -
فيا صَخْرَتِي أثْقَلِي خُطُواتِي
حملتك فجراً على كتفي ،
رسمتك رؤيا على قَسَماتي .

هاوية

أقبل في هاويةٍ أجهل أن أراها
أخاف أن أراها ،
أقبل في هاويةٍ مليئةٍ
بفرحةِ المنبئِ والنذيرِ ،
فرحة أن تصيرَ
أغنيتي أغنيةً سواها
تقود هذا العالم الضميرُ -
فرحة أن أصيرَ
خطيئةً ،
ونحاطاً يحيا بلا خطيئته .

لجأ أسراي ...

لِيَّ أسراي لأمشي
فوق بيتِ العنكبوتِ
لِيَّ أسراي لأحيا
تحت أهدابِ إلهٍ لا يموتُ .
عاشِقُ أسكنُ في وجهي وصوتي -
لِيَّ أسراي ليأتي
لِيَّ نسلٌ بعد موتي .

لم ترني عيناك

لم ترني عيناك
بكراً كماء النطفة الخالقة
لم ترني أقبل من هناك
في موكب النذور
وفي خطاي العشب والصاعقه .
غداً غداً في النار والربيع
تعرف أني حاضنُ البدور ،
غداً غداً توقنُ بي عيناك .

حوار

– «أين كنت؟
أي ضوءٍ تحت أهدابك يبكي؟
أين كنت؟
أرني . ماذا كتبت؟» .
لم أجبها . لم أكن أعرف كلمه
فأنا مزقت أوراقي لأنني
لم أجد تحت غيوم الحبر نجمة .
– «أي ضوءٍ تحت أهدابك يبكي؟
أين كنت؟» .
لم أجبها . كانت الليلة كوخاً
بدوياً ، والمصاييح قبيله
وأنا شمسٌ نحيله
تحتها غيّرت الأرض رباها
والتقى التائه بالدرب الطويله .

الحضور

أفتح باباً على الأرض ، أشعل نار الحضور
في الغيوم التي تتعكس أو تتوالى .
في المحيط وأواجه العاشقه
في الجبال وغاباتها ، في الصخور ،
خالقاً لليلي الحُبالي
وطناً من رماد الجذور
من حقول الأغاني من الرعد والصّاعقه ،
حارقاً مومياء العُصور .

الأيام السبعة

أيها الأم التي تسخرُ
من حبي ومقتي ،
أنتِ في سبعة أيام خلقتِ
فخلقتِ الموجَ والأفقَ
وريشَ الأغنية
وأنا أيامي السبعة جرحٌ وغرابٌ
فلماذا الأُحجية
وأنا مثلكِ ريحٌ وترابٌ؟

أورفيوس

عاشقٌ أتدخّرُ في عَتَمَاتِ الْجَحِيمِ
حَجَرًا ، غَيْرَ أَنِّي أَضْيِيءُ
إِن لِّي مَوْعِدًا مَعَ الْكَاهِنَاتِ
فِي سِرِيرِ الْإِلَهِ الْقَدِيمِ
كَلِمَاتِي رِيَاخٌ تَهْزُ الْحَيَاةُ
وِغْنَائِي شِرَارٌ .
إِنِّي لُغَةٌ لِإِلَهِ يَجِيءُ
إِنِّي سَاحِرُ الْغُبَارِ .

أَرْضُ السَّحَرِ

لَمْ يَبْقَ - لَا ثَأْرٌ وَلَا خُصُومَةٌ
بَيْنِي وَبَيْنَ حَارِسِ الْأَيَّامِ ،
كُلُّ مَضَى ، سَيَّجَ بِالْغَمَامِ
تَارِيخَهُ ، كُلُّ رَأْيٍ تَحُومَةٌ -

وَلَمْ تَزَلْ أَرْضِي أَرْضَ السَّحَرِ :
أَغَالِطُ الْهَوَاءَ
أَجْرِخُ وَجْهَ الْمَاءِ
أَخْرِجُ مِنْ قَنِينَةٍ فِي الْبَحْرِ .

رؤيا

تَقْنَعِي بِالْخَشَبِ الْمَحْرُوقِ
يا بَابِلَ الْتَحْرِيقِ وَالْأَسْرَارِ ،
أَنْتَظِرُ اللَّهَ الَّذِي يَجِيءُ
مُكْتَسِباً بِالنَّارِ
مُزِيناً بِاللُّؤْلُؤِ الْمَسْرُوقِ
من رَتْةِ الْبَحْرِ مِنَ الْمَحَارِ ؛
أَنْتَظِرُ اللَّهَ الَّذِي يَحَارِ
يَغْضَبُ بِيَكِي يَنْحَنِي يُضْمِيءُ -
وَجْهَكَ يَا مَهْيَارَ
يُنْبِئُ بِاللَّهِ الَّذِي يَجِيءُ .

سفر ...

سأسافرُ في موجةٍ في جَنَاحٍ
سأزورُ العصورَ التي هجرتنا
والسمااءَ الهَلَامِيَّةَ السَّابِعَةَ ،
وأزورُ الشِّقَاةَ
والعيونَ المليئةَ بالثلجِ ، والشفرةَ الَّلَامِعَةَ
في جحيمِ الإلهِ ؛
سأغيبُ ، سأحزمُ صدري
وأربطُهُ بالرياحِ
وبعيداً سأتركُ خطويَ في مفرقٍ ،
في متاهةٍ ...

اترك لنا وراءك

إنفضِرِ ابتعدِ واحتضنِ الأمواج والهواءَ
واحملْ على أهدابك السحابَ والبرقَ
ولتتكسرْ وراءكُ
مرآتنا ، ولتتكسرْ قارورة السنين ؛
واتركْ لنا وراءك
لا . لا تدغْ وراءكُ
غيرَ بقايا حَسرةٍ وطينٍ
غيرَ الدمِ اليابسِ في العروقِ ؛
أه ، ابتعدْ . مهلك ، لا .
أوشكتُ أن تغيبَ
فأتركْ لنا وراءكُ
عينيكِ أو جُثَّتَكَ السَّمرَاءِ أو رداءكُ
قصيدةً للعالمِ الغريبِ
للعالمِ الآتي مع الحنينِ
يحملُ في أهدابه سَماءَكُ .

أسلمت أيامي ...

أسلمتُ أيامي لهاويةٍ
 تعلو وتهبط تحت مركبتي
 وحفرتُ في عينيّ مقبرتي ،
 أنا سيّد الأشباح أمنحُها
 جنسي وأمسٍ منحتُها لغتي
 وبكيتُ للتاريخ منهزماً
 مُتعثراً يكبو على شفتي
 وبكيت للرب الذي احترقتُ
 أشجارُه الخضراء في رثتي ؛
 أنا سيّد الأشباح أوقظُها
 وأسوقها بدمي وحنجرتي
 الشمسُ قبرةٌ رميتُ لها
 أنشوطتي والريح قبعتي .

جسر الدمع

ثَمَّةٌ جَسْرٌ مِنَ الدَّمْعِ يَمْشِي مَعِي
يَتَكَسَّرُ تَحْتَ جَفَوْنِي
ثَمَّةٌ فِي جِلْدِي الْخَزْفِيّ
فَارِسٌ لِلطُّفُولِ
يُرِبُّ أَفْرَاسَهُ بِظِلِّ الْغُصُونِ
بِحِبَالِ الرِّيحِ
وَيَغْنِي لَنَا بِصَوْتِ نَبِيٍّ:
«أَيْهْذِي الرِّيحُ
أَيْهْذِي الطُّفُولُ
يَا جَسُوراً مِنَ الدَّمْعِ
مَكْسُورَةً وَرَاءَ الْجَفَوْنِ» .

لا حد لها ...

لِدَرْبِي اللَّابِسَةِ الْأَمْوَاجِ وَالْجِبَالِ
لَوْجَهِي الْمَلِيءِ بِالْأَصْدَاءِ
أَطْفَاتُ أَلْفِ الشَّمْعِ الْبَيْضِ فِي السَّمَاءِ ؛
قُلْتُ لَأَسْتَأْنِيَ لِلْأَطَافِرِ الزَّرْقَاءِ
لِيُنِيَّ مَعِي وَاسْتَسْلِمِي لِلْمَوْجِ وَالْهَدِيرِ
قُلْتُ لَهَا أَنْ تَقْطَعَ الْجِبَالَ
بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ -
لَا حَدَّ لِي لَا شَاطِئَ آخِرَ .

السُدود

دائماً يُقرأ الضحى ويُعادُ
دائماً هذه المغاورُ تحت الجبلِ
هذي السدودُ والأنقاضُ
دائماً هذه التكايا
دائماً هذه المقابرُ تحت الذهبِ
هذي الأشلاءُ هذي الضحايا
من أغانيك، حيث لا أرض في وجهك
لا رقصة ولا ميلادُ،
دائماً في عروقتك الإجهاضُ -
لك في القِشْر نجمةٌ، لك في الصخر تراثُ
وفي النهار بلادُ،
يا أميرَ الفراغِ يا لغةً تفرغُ فيها الرياح والأبعادُ.

الأرض الوحيدة

أَسْكُنْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الشَّرِيدَةِ
وَأَعِيشْ وَوَجْهِي رَفِيقٌ لَوَجْهِي
وَوَجْهِي طَرِيقِي ،
بِاسْمِكَ يَا أَرْضِيَّ الَّتِي تَتَطَاوَلُ
مَسْحُورَةً وَحِيدَةً
بِاسْمِكَ يَا مَوْتَ يَا صَدِيقِي .

أمنية

لو أُرزّة من شَجَر الأعماق والسنينِ
تَفْتَح لي أحضانها ، لو أنها تقيني
غواية اللؤلؤ والسراغ ،

لو أن لي جذورها ووجهي
يرسو وراء قشرها الحزين ،
إذن ، لَصِرْتُ الغيمَ والشعاع
في الأفق - هذا البلد الأمين .

لكنني أحيا وكلَّ غُصْنٍ
في شجر الأعماق والسنينِ
نارٌ على جيبيني
نارٌ من الحمى من الضياع
تُلْتهمُ الأرض التي تقيني .

قلت لكم ...

قلتُ لكم أصغيتُ للبحار
تقرأ لي أشعارها ، أصغيتُ
للجرس النائم في المحار ؛
قلتُ لكم غنيتُ
في عُرسِ الشيطان ، في وليمة الخرافة ؛
قلتُ لكم رأيْتُ
في مطر التاريخ ، في توهج المسافة
جنّةً وبيت ؛
لأنني أبحر في عيني
قلتُ لكم رأيْتُ كلَّ شيءٍ
في الخطوة الأولى من المسافة .

الهزيمة

أصهركِ الآن يا أغاني
غيماً ومرثيةً وديمه
أمنج بالنعمة الجريمه
ناسجاً راية التراب
والضّحى برماح الهزيمة .

ألَسَحَرُ والنارُ والوليمه
مملكتي ، والضّبابُ
جيشي ، والعالمُ الهزيمة .

يكفيك أن ترى

(أصوات)

يكفيك أن ترى
يكفيك أن تموتَ من بعيدٍ
أن تحضنَ الذُّرى .

لا صمتَ في عينيكَ لا كلامَ
كأنك الدخانُ
جلدُك يَسَاقُطُ في مكانٍ
وأنتَ في مكانٍ -
يكفيك أن تعيشَ في المتاه
مُنْهَزِماً أخرسَ كالمسمارِ
لن تلمحَ الله على الجباه ؛
يكفيك يا مهيأُ
أن تكتمَ السرَّ الذي مَحَاهُ .

يكفيك أن ترى
يكفيك أن تموتَ من بعيدٍ .

الكورسيه

(حلم)

مِنْ زَمَنْ صرِخْتُ بِالْمَدِينَةِ :
يا قَشْرَةَ الْعَالَمِ فِي يَدَيَّ .
مِنْ زَمَنْ تَمَتَّمتُ لِلْسُفِينَةِ —
أُغْنِيَتِي فِي اللَّهَبِ الْوَرْدِيِّ :
أَلْكُلُ أَوْ لَا شَيْءَ .

تَعَبْتُ يَا أَحْفَادِي الصِّغَارُ
مَنْي ، مِنْ الْبَحَارِ ،
هَاتُوا لِي الْكُرْسِيَّ .

المصباح

يحمل في رابعة النهار
مصباحه يبحث عن إنسان
لا رمل في عينيه ،
يسير في خف من الغبار
ينام في برميل
ملتجفاً كغربة .

— وأنت ، ماذا؟
— ليس لي عينان .
بينني وبين إخوتي قابيل
بينني وبين الآخر الطوفان .

حين ينام الليل والنهار
أغافل السقّاح
أمشي ويمشي خلفي الغبار ،
لكنني أمشي بلا مصباح .

أبحثُ عن أوديس

أشردُ في مغاور الكبريتُ
أعانقُ الشرازُ
أفاجئُ الأسرازُ
في غيمة البخور في أظافر العفريتُ -

أبحثُ عن أوديس
لعله يرفع لي أيامه معراجُ
لعله يقول لي ، يقولُ ما تجهله الأمواجُ ...

البلاد القديمة

أَسْلَمْتُ لِلصَّخُورِ وَالْأَصْدَاءِ
وَإِيَّاتِيِ الْمَخْنُوقَةَ النَّدَاءِ ؛
أَسْلَمْتُهَا لِقَلْعَةِ الْغُبَارِ
لِكِبْرِيَاءِ الرِّفْضِ وَالْهَزِيمَةِ
لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا كِ يا بِلَادِي الْقَدِيمَةِ —
أُيَّتْهَا الْأَسْرَارُ .

أَرْضِ بِلَا مَعَادٍ

حتى ولو رجعتَ يا أوديسُ
حتى ولو ضاقت بك الأبعادُ
واحترق الدليلُ
في وجهك الفاجع
أو في رعبك الأنيسُ ،
تظلّ تاريخاً من الرحيلِ
تظلّ في أرضِ بلا ميعادٍ ،
تظلّ في أرضِ بلا معادٍ ،
حتى ولو رجعتَ يا أوديس .

اليوم لي لغتي

هدمتُ مملكتي
هدمتُ عرشي وساحاتي وأروقتي
ورحتُ أبحتُ محمولاً على رثتي
أعلم البحر أمطاري وأمنحه
ناري ومجمرتي
وأكتب الزمنَ الآتي على شفتي؛

واليوم لي لغتي
ولي تخومي ولي أرضي ولي سمتي
ولي شعوبي تغذيني بحيرتها
وتسقيني بأنقاضي وأجنحتي .

الأرض

كم قلت : لي بلادي الثانيه
وامتلأت كفاك بالدموع
بالبرق من تخومها الآتية ،
هل عرفت عيناك أن الأرض
أنى بكّت أو هلّلت خطاك
هنا ، كما غيّت أو هناك
تعرف كلّ عابر سواك
وأنها واحدة
يابسة الأحشاء والضروع
وأنها تجهل طقس الرّفض ؛
هل أيقنت عيناك
أنك أنت الأرض ؟

لغة للمسافة

أمسٍ تحت المحاجر سافرتُ تحت الغبارِ
فسمعتُ صدانا
وسمعتُ انهيارَ الحدودِ

ورجعتُ ، وقيل نسيتُ هنالك ،
من دهشةٍ ، خطواتي
خطواتي؟ بلى ، وكأني أراها
خزّةً تتنقل بين الشرايين بين الرّثاتِ
وتطوف الحنايا وتنقادُ
مذهولةً أو تحارُ
في ثنايا الخواصر في الجلد
في هوةٍ لا تراها
وكأني أراها
بعد هذا تعودُ .

ستمّرُ ، ولن تلمحوا ، خطواتي
بيننا لغةٌ للمسافة يجهل ألفاظها سوانا .

البرق

أوما لي برق بكى ونام
في غابة الظنون
يجهل من أكون
يجهل أني سيد الظلام ؛
أوما لي برق بكى ونام
نام على يدي
منذ رأى عيني .

ظلي وظل الأرض

إقتربي أيتها السماء واستريحي
في قبري الضيق ،
في جبينني الفسيح
وابقي بلا وجه ولا يدين
ودونما حشرة أو نبض
وارتسمي شخصين -
ظلي وظل الأرض .

أوديس

— «مَنْ أَنْتَ، مَنْ أَيِّ الذَّرَى أَتَيْتَ
يا لغةً عذراء لا يعرفها سواك .
ما اسْمُكَ — أَيِّ رَايَةٍ حَمَلْتَ أَوْ رَمَيْتَ؟» .
تَسْأَلُ ، أَلْكِينُوسُ؟
تُرِيدُ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَ الْمَيِّتِ
تَسْأَلُ مَنْ أَيِّ الذَّرَى أَتَيْتَ
تَسْأَلُ مَا اسْمِي — اسْمِي أَنَا أوديسُ
أُجِيبُ عَنْ أَرْضٍ بِلا حَدودٍ
مَحْمُولَةٌ فَوْقَ ظُهُورِ النَّاسِ ؛
ضَعْتُ هُنَا وَضَعْتُ مَعَ قِصَائِلِي هُنَاكَ
وَمَا أَنَا فِي الرِّعْبِ وَالْيَبَاسِ
أَجْهَلُ أَنْ أَبْقَى وَأَنْ أَعُودَ .

الإله الهيت

مزمور

أول النهار أنا وآخر من يأتي - أضع وجهي على فوهة البرق وأقول
للحلم أن يكون خبزي .

أرفع الفراشة بيرقاً أكتب عليه أسمائي .

شجرةٌ تغيّر اسمها وتأتي إليّ ، حجر يغتسلُ بصوتي ، سهلٌ يكتسي
بأوراقي - هذه جيوشي وسلاحيّ العشب .

أنقش وجهي على الرّيح والحجر ، أنقش وجهي على الماء ، أسكن
الأفق ، وعلى جيبيني قناعٌ من الموج .

أتجه نحو البعيد والبعيد يبقى . هكذا لا أصل ، ولكنني أضيء . إنني
بعيد والبعيد وطني .

أخلق وطناً صديقاً كالدمع .

الذين يلغمون قشرة العالم ، المليثون كالجمر ، الذين يُتاخمون الأفق ،
الذين يتفياؤن ظل الفراشات ،

هؤلاء سميتهم بأسمائي . أنا الراكض والآلهة سياجٌ حولي أخطفها
وأغزوها وحين أجسّها ألبس المآتم قُفازاً . أنا الساكن في أصداف الحلم ،

معلنًا إنسانَ الداخل — انظر وراءك يا أورفيوس ، تعلم كيف تسير في
العالم ،—

أعلن طوفانَ الرّفص ،

أعلن سِفْرَ تكوينه .

أحاور الكهوف ، أصير الجبال كلماتٍ وأمّوسق الحُفَر ، أراقص الأثير
وأحمّل الحجر أشواقِي إلى الأرض . أكتب رقيةً لأيامي وأكسر عُدَادَ
الوقت . أغرس مسافاتي بالأشلاء وأترك للأبعاد أن تقودني .

مرآة الحجر

عارياً تحت نخيل الآلهة ،
لابساً رملَ السنين
كنتُ ألهو باحتضاري
كنتُ أبني ملكوت الآخرين
بغباري .

يا نبيّ الكلمات التائهه
يا نبيّ السفر الآتي إلينا
في رياح المطرِ
أنا واليأسُ عرفنا أنك الآتي إلينا
وعرفناك نبياً يُحتَضَرُ
فانحنينا

وهتفنا : «أيها الآتي إلينا
ضائعاً يقطر نفياً وحريقاً
نحن نرضاك إلهاً وصديقاً
في مرايا الحجر» .
يا نبيّ السفرِ

أنا أرضاك إلهاً ورفيقاً
في مرايا الحجر .
باسمك اليوم أغني للغيوم
وسأبني بين قلبي والفضاء
عند أطراف النجوم
حاجزاً يلبس وجه البشر
والسماء ،
وأغني للغيوم —
حجرٌ وجهي ولن أعشق غير الحجر .

الأغنية

خرسَاءَ أو مخنوقةَ الحروفِ
أو لا صوتُ
أو لغةٌ تحت أنين الأرضِ ،
أغنيّتي للموتِ
للفرح المريضِ في الأشياءِ للأشياءِ
أغنيّتي للرفضِ
يا كلمات الرعب والدواءِ
يا كلمات الداءِ .

لمرة واحدة

لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ لِمَرَّةٍ أَخِيرِهِ
أَحْلُمُ أَنْ أَسْقُطَ فِي الْمَكَانِ -
أَعِيشُ فِي جَزِيرَةِ الْأَلْوَانِ
أَعِيشُ كَالْإِنْسَانِ
أَصَالِحُ الْآلِهَةَ الْعَمِيَاءَ وَالْآلِهَةَ الْبَصِيرَةَ
لِمَرَّةٍ أَخِيرِهِ .

الأرض الثانية

ها أنا في طريقي إلى أرضي الثانية
ومعي رايتي ورياحي ،
والنهار يموت
ساحباً خلفه عَرَبَات الأضاحي
ساحباً خلفه البيوت .

اعتراف

ليس إلا جثة الليل وأشلاء يدي
في تقاطيع النهار
ليس إلا حَجَرٌ تحت الجفون
أه كم صليتُ للربِّ الحرون
للشماز
أه كم أطعمتُ عيني لجوع الشجره
ولكم سرتُ على أهدابي المنكسره
للقاء - لعناقٍ وثني
أنا والله وأنقاض النهار .

صلاة ...

صَلَّيْتُ أَنْ تَظِلَّ فِي الرَّمَادِ
صَلَّيْتُ أَلَّا تَلْمَحَ النَّهَارَ أَوْ تُفَيِّقُ -
لَمْ نَخْتَبِرْ لَيْلَكَ ، لَمْ نُجْرِعْ مَعَ السَّوَادِ ؛
صَلَّيْتُ يَا فِينِيقَ
أَنْ يَهْدَأَ السَّحَرُ وَأَنْ يَكُونَ
مَوْعِدُنَا فِي النَّارِ فِي الرَّمَادِ ،
صَلَّيْتُ أَنْ يَقُودَنَا الْجَنُونُ .

المسافر

مسافرٌ تركتُ وجهي على
زجاج قنديلي
خريطتي أرضٌ بلا خالقٍ
والرفضُ إنجيلي .

الصّاعقة

أيتها الصّاعقة الخضراء
يا زوجتي في الشّمس والجنون ،
الصّخرة انهارت على الجفون
فغَيّرِي خريطة الأشياء .

جئتُكِ من أرضٍ بلا سماء
ممتلئاً بالله والهاوية
مجنّحاً بالريّح والنسور ،
أفتحمُ الرمل على البدور
وأنحني للغَيمة الآتية ،
فغَيّرِي خريطة الأشياء
يا صورتِي في الشمس والجنون
أيتها الصّاعقة الخضراء .

بعد السكوت

أصرخُ بعد السكوت الذي لا يُغامرُ فيه الكلامُ
أصرخُ مَنْ منكم يراني
يا بقايا بلا قامةٍ يا بقايا تموتُ
تحت هذا السكوت .
أصرخُ كي تتوالدَ في صوتي الرياحُ
كي يصيرَ الصباحُ
لغةً في دمي وأغاني .
أصرخُ : مَنْ منكم يراني
تحت هذا السكوت الذي لا يُغامرُ فيه الكلامُ ،
أصرخُ كي أتيقنَ أنني وحدي — أنا والظلامُ .

الذئب الإلهي

الضّحيّ محترق الوجه شريدٌ
وأنا موتُ القمرِّ
تحت وجهي جرسُ الليل انكسرَ،
وأنا الذئبُ الإلهيُّ الجديدُ .

قدم الأطفال

أعطي لكِ الماردَ والدخانُ
يا فرساً شهباءُ
تُطعمهما الصَّبِيرَ والزَّوْانُ .
أعطي لكِ الرياحَ والأبوابُ
أعطي لكِ الألعابُ
والحلْمَ والدفاتر الصَّفراءُ
والحرفَ والكتابه
في عُرفِ الحكمة والأمثالُ ،
يا شمسُ يا جنيَّةَ الشلالِ والسحابه
يا قدَمَ الأطفالُ .

حجر الصاعقة

إنني حَجَرُ الصاعقة
والإلهُ الذي يتلاقى مع المفروق الصَّاعِ
وأنا الراية العالقه
بجفون السَّحابِ المشرَّد والمطر الفاجع ؛
وأنا التائه الذي يتقدم سيلاً ونارا
مازجاً بالسَّماء الغُبارا ؛
وأنا لهجَّةُ البرق والصَّاعقه .

تائه الوجه ...

تائه الوجه - أصلي لغباري
وأغني روعي المغتربه
والى معجزة لم تكتمل ،
أتحطى عالماً تحرقه
أغنياتي وأمد العتبه .

أَخْلَقَ أَرْضاً

أَخْلَقَ أَرْضاً تَثُورُ مَعِيَ وَتَخُونُ
أَخْلَقَ أَرْضاً تَجَسَّسْتُهَا بِعُرُوقِي
وَرَسَمْتُ سَمَاوَاتِهَا بِرُعْدِي
وَزَيَّنْتُهَا بِبُرُوقِي ،
حَدَّهَا صَاعِقٌ وَمَوْجٌ
وَرَايَاتُهَا الْجَفُونُ .

الخيانة

آه يا نعمة الخيانة -
أيها العالم الذي يتناولُ في خُطواتي
هُوَّةً وحريقه
أيها الجثة العريقة ،
أيها العالم الذي خنته وأخونته .
أنا ذاك الغريق الذي تصلّي جفونهُ
لهدير المياه ،
وأنا ذلك الإله -
الإله الذي سيُبارك أرضَ الجريمه .

إنني خائنٌ أبيع حياتي
للطريق الرّجيمه ،
إنني سيّد الخيانة .

لصدفة

خفت؟ غير وجهك المنهزما
أيها الشيطان يا مركبتي فوق النجوم .
أنا لا أخشى الطريق الأيكما
إنني ريح سموم
إنني كالصدفة :
تحت وجهي حُفرت مقبرتي .

أهجر الأحلام في أهداك المرتجفه
وابق في حنجرتي ،
أيها الشيطان يا مركبتي تحت النجوم .

الإله الميت

اليوم حرقْتُ سَرَابَ السَّبْتِ سَرَابَ الْجُمُعَةِ
اليوم طرحتُ قَنَاعَ الْبَيْتِ
وبدلتُ إلهَ الحجرِ الأعمى وإلهَ الأيامِ السَّبعِ
بإلهٍ مَيِّتٍ .

قربان

في كهوفِ العذابِ العتيقُ
حيث كنتُ أحبُّ الإله
أحب نساء القصورُ
حيث عشنا - أنا والجنون الصديقُ ،
ضِعتُ بينَ الشهورُ
فعبرتُ المقازه
وتركت ورائي الطريق .
باسم ربُّ يخطُّ كتابه
في كهوفِ العذابِ العتيقُ ،
أرفعُ هذا الحريقُ
وأضحّي ذبابَه ؛
باسم تلك الشمس التي تتقدّمُ
أبدأ هذي الجنازة .

إِلْهَى سِيزِيفُ

أَقْسَمْتُ أَنْ أَكْتُبَ فَوْقَ الْمَاءِ
أَقْسَمْتُ أَنْ أَحْمِلَ مَعَ سِيزِيفُ
صَخْرَتَهُ الصِّمَاءُ .
أَقْسَمْتُ أَنْ أَظِلَّ مَعَ سِيزِيفُ
أَخْضَعُ لِلْحُمَى وَاللِّشْرَارِ
أُبْحَثُ فِي الْمَحَاجِرِ الضَّرِيرَةِ
عَنْ رِيشَةِ أَخِيرِهِ
تَكْتُبُ لِلْعُشْبِ وَاللِّخْرِيفِ
قَصِيدَةَ الْغَبَارِ .

أَقْسَمْتُ أَنْ أَعِيشَ مَعَ سِيزِيفِ .

إله يحب شقاءه

للإله الذي يتمزقُ
في خُطواتي —
أنا مهيار هذا الرَّجِيمِ ،
أرفع الميَّتين ذبيحة
وأصلِّي صلاة الذَّناب الجريحه .
غيرَ أنَّ القبور التي تتشاءبُ
في كلماتي
حَصَّنَتْ أغنياتي
بإله يُزيح الحجارةَ عَنَّا ،
يُحِبُّ شقاءه
ويُبَارِك حتى الجحيمِ
فيصلِّي معي صلواتي
ويردُّ لوجه الحياة البراءة .

مشهد

(حلم)

كأنما تَسْتَنْطِقُ الصبَاعَةُ الْحِجَارُ
تَحَاكُمُ الصبَاعَةُ السَّمَاءُ
تَحَاكُمُ الْأَشْيَاءُ
كأنما يَغْتَسِلُ التَّارِيخُ فِي عَيْنِي
وَتَسْقُطُ الْأَيَّامُ فِي يَدِي
تَسْقُطُ كَالثَّمَارِ . . .

رياح الجنون

صدتْ عَرَبَاتُ النهارِ
صدئِ الفارسِ .
إنني مَقبلٌ من هناكُ
من بلادِ الجذورِ العقيمةِ ،
فَرَسِي برعمُ يابسُ
وطريقي حِصارُ .
ما لكم ، ما لكم تَسْخرون؟
اهربوا فأنا من هناكُ
جئتكم ، فلبستُ الجريمةَ
وحملتُ إليكم رياحَ الجنونِ .

ليس لك اختيار

ماذا ، إذن تهدم وجه الأرض
ترسم وجهاً آخرًا سواء ؛
ماذا إذن ليس لك اختيار
غير طريق النار
غير جحيم الرفق -
حين تكون الأرض
مقصلة خرساء أو إله .

إرم ذات العماد

مزمور

ألهو مع بلادي ؛

ألمح مستقبلها آتياً في أهذاب النعمة . أداعب تاريخها وأيامها وأسقط
عليها صخرة وصاعقة . وفي الطرف الآخر من النهار أبدأ تاريخها .

غريبٌ عنكم أنا وفي الطرف الآخر . أسكن بلاداً خاصةً بي ، وفي النوم
واليقظة أفتح برعماً وأعيش فيه .

ثمة حاجةٌ لأن يُولد شيءٌ ما ، لذلك أفتح للبرق مغاراتٍ تحت جلدي
وأبني أعشاشاً . ثمة حاجةٌ لأن أعبر كالرعد في الشفاه الحزينة كالقش ،
بين الحجر والخريف ، بين المسام والبشرة ، بين الفخذ والفخذ .

لهذا أغني : «تقدّم يا شكلاً يليق باحتضارنا» .

لهذا أصرخ وأغني : «من يعطينا أمومة الفضاء ، من يغدّينا بالموت؟» .

أتقدم صوب نفسي وصوب الأنقاض . تأخذني سكّنة الفجيعة - قصيرٌ
لأحيط بالأرض كالحبل ، ولست حاداً كما ينبغي لأغوص في وجه
التاريخ .

تريدون أن أكون مثلكم . تطبخونني في قدر صلواتكم ؛ تمزجونني

بحساء العساكر وفلفل الطاغية ، ثم تنصبونني خيمةً للوالي وترفعون
جمعمتي بيرقاً —

آه يا موتي ،

مع ذلك أجري نحوك ، أركض أركض أركض إليك .

يفصلكم عني بعدُ بحجم السراب .

أهيج الضباع فيكم وأهيج الآلهة . أزرع فيكم الفتنة وأرضع الحمى ، ثم
أعلمكم أن تسيروا بلا دليل . إنني قُطِبَ في استواءاتكم وربيعٌ يمشي .
إنني ارتجاجٌ في حناجركم ، وفي كلماتكم نزيفٌ مني .

تتقدمون كالبرص نحوي ، أنا المربوط بترابكم . لكن لا شيء يجمع
بيننا وكل شيء يفصلنا — فلاحترق وحيداً ، ولا عبر بينكم رمحاً من
الضوء .

لا أستطيع أن أحيا معكم ، لا أستطيع أن أحيا إلا معكم . أنتم تموجٌ
في حواسي ولا مهرب لي منكم . لكن اصبرخوا — البحر ، البحر لكن علّقوا
فوق عباتكم خرز الشمس .

افتحوا ذاكرتي ، تبينوا وجهي تحت كلماتها وتبينوا حروفي . حين ترون
الزبد ينسج لحمي والحجر سائلاً في دمي ، تروني .

مُغلَقٌ كجذع شجرة ، حاضِرٌ ولا أقبض كالهواء . هكذا لا أستطيع أن
أستسلم لكم .

وُلدت في محاجر الليلك ، نشأت في مدار البروق ، وأسكن بين الضوء

والعُشب . أعصف وأصحو ، ألمع وأغيم ، وأمطر وأثلج — الساعات لغتي
وبلادي النهار .

(الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا) أو كما قيل ؛ أنتم نيامٌ ، فإذا انتبهتم
مثم ، أو كما سيُقال .

أنتم وسَحَّ على زجاج نوافذي ويجب أن أمحوكم ، أنا الصباح الآتي
والخريطة التي ترسم نفسها ؛

مع ذلك ، في أحشائي حُمى تسهر عليكم ،
مع ذلك أنتظركم .

في صدف الليل على البحر ،
في تهادُر اللّجة ،

في الثقوب التي تملأ جِبَّةَ الفلك ،
في العُباب والأكاسيا ،

في الصنوبر والأرز ،

في بطانة الموج — في الملح
أنتظركم .

رؤيا

ألمح بين الكتب الذليلة
في القبة الصفراء
مدينة مثقوبة تطير
ألمح جدراناً من الحرير
ونجمة قتيله
تسبح في قارورة خضراء .
ألمح تمثالاً من الدموغ
من خزف الأشلاء والركوع
في حضرة الأمير .

المدينة

(أصوات)

— «اللذخان انحنى للدخان

هي عوامة الرياح .

وجهها ضفدع ولها إصبعان

لن تمس قرون الربيع

لن تحس بنهر الصباح .

إنها بركة القطيع —

وجهها واحد ولها سرتان» .

براءة

أَتَهْمُ الْأَشْبَاحُ
أَتَهْمُ الرُّخُ الَّذِي يَبْيِضُ
فِي كِتَفِ الْجَنِيَّةِ الْعَمِيَاءِ ؛

أَتَهْمُ الرِّيحُ
وَالشَّمْعُ وَالدَّجَاجَةُ الْخُرْسَاءُ ؛

أَتَهْمُ الشَّعْبَانِ ذَا الْجَنَاحِ
يَا لِلْجَنَاحِ الْأَبْرَصِ الْمَهِيضِ ؛

أَتَهْمُ الْأَشْجَارَ وَالْمِيَاهُ —
فَأَنْتِ يَا سَمَاءَنَا الْمَضِيئَةَ
يَا زَوْجَةَ السُّلْطَانِ وَالْإِلَهِ
بَرِيئَةٌ مِنْ دَمِنَا بِرِيئَةٍ .

البغي

لَنَا، لَنَا شِفَاهُنَا المليئة
بالعالم الغبيّ ؛
لَنَا بقايا الجثث المضيئة
وأول الطريق والمحرقه ؛
لَنَا، لَنَا سَقُوطُنَا الخفيّ
من شُرُفَاتِ الجنة المُغلقة ،
يا سحرُ يا تعويذة هنيئة
نرسمها كفارةً ونختأ
مُراهاقاً لأرضنا البغيّ .

رقية

أنتَ بلا شريانٍ
جلدك يحيا وحده يدورُ
يغور في دوامة القشور ،
جلدك يحيا يابساً عريانُ ؛
جلدك مطّاط من الكلام
يعيش منقوشاً على البيوت
بالرمل والرخام ؛

أتيةً أيامك الجرباءُ
في بؤبؤي جرادة عمياء ،
أتيةً في جلد عنكبوت .

الجثث

دفنتُ في أحشائكِ الذليله
في الرأس والعينين واليدينُ
مُثدَّنةً ، دفنتُ جثَّتَيْنِ —
الأرضَ والسَّماءَ ،

أيتها القبيله
يا رَحمَ الزَّيْزانِ يا طاحونةَ الهواءِ .

العصر الذهبي

— «جُرَّهْ يا شُرْطِيَّ . . .»
— «سيدي أعرف أن المقصَلَهْ
بانتظاري
غير أني شاعرٌ أعبد ناري
وأحبُّ الجَلْجَلَهْ» .

— «جُرَّهْ يا شُرْطِيَّ
قل له إن حذاء الشُّرْطِيَّ
هو من وجهك أجملُ» .

آه يا عصرَ الحذاء الذهبيِّ
أنت أغلى أنتَ أجملُ .

الأشياء

لو أنني أحترقُ الجرحَ إلى الجريمه
لو أنني أموّه الرايات والجنونُ ،
لكانَ لي قُبْعَة الإخفاءُ
لَكُنْتُ في النصر وفي الهزيمه
أفتحهمُ الحلمَ على الجفونُ
أكون في الأرض ولا أكون .

لكنني ربطتُ بالأشياء
وجهي وأعماقي والإله ،
رضيتُ أن أحيا بلا تميمه
أن أرسم الحياه
بالموت والسراب والأشياء –
رضيتُ أن أحيا مع الأشياء .

تزينيا بالرمل

تَزِينِي بِالرَّمْلِ وَالذَّنَابُ
يا امرأةَ الرِّيحِ الدَّمَشْقِيَّةُ ،
لا قمرٌ عندي ولا ثيابُ
لكنني جرؤْتُ أن أنامُ
في وجهكِ الميِّتِ كالخليجِ
في وجهكِ المنذورِ للنَّشِيجِ
يا لغةً ترسو بلا تحيةٍ
في مرفأِ الكلامِ
يا امرأةَ الرِّيحِ الدَّمَشْقِيَّةِ .

المدينة

أشموغ انطفأت فوق جبيني
أشموغ اشتعلت فوق المدينة
والمدينه
رجلٌ لا يعرفُ الضوءَ جبينةً .
والمدينه
حجرٌ ينأى وأشلاء سفينته .

قد تصير بلادي

ها أنا أتسلق أبعاد فوق صباح بلادي
فوق أنقاضها وذراها
ها أنا أتخلص من ثقل الموت فيها
ها أنا أتغرب عنها
لأراها ،
فقدأ قد تصير بلادي .

لأرضي

لأرضي أجرح هذه العروق الرّجيمه
لأرضي خبأت بين جراحي
غدي ورياحي ،
وأرضي مخمورة - كتفاها
أميران من لؤلؤ ، وجريمه .

غبطة الجنون

هدمتُ قصرَ الرَّمَلِ في العيونِ
مَنَحْتُ للتَّكَايَا
مِجَامِرَ الْأَفْيُونِ -
مِجَامِرَ الْأَفْيُونِ وَالسَّجَادِ وَالْمَرَايَا ؛
رَجَمْتُ وَجْهَ الصَّبْرِ وَالْقَبُولِ
رَقَصْتُ لِلْأَفْوَلِ
لِجَنَّةِ الْإِلَهْ -
بِاسْمِكَ يَا سَحَابَةَ الْأَجْرَاسِ
يَا عُرْسَ الْأَنْقَاضِ وَالْيَبَاسِ
يَا بُقْعَ الرَّعْبِ عَلَى الْجِبَاهِ .

وطن

لِلْجُوهِ الَّتِي تَتَبَّسُّ تَحْتَ قَنَاعِ الْكَأَبِ
 أَنَحْنِي ؛ لِدُرُوبِ نَسِيتُ عَلَيْهَا دُمُوعِي
 لِأَبِ مَاتَ أَخْضِرًا كَالسَّحَابِ
 وَعَلَى وَجْهِهِ شِرَاعُ
 أَنَحْنِي ؛ وَلِطِفْلِ يُبَاعُ
 كَيْ يُصَلِّيَ وَكَيْ يَمْسَحَ الْأَحْذِيَةَ -
 كُلْنَا فِي بِلَادِي نَصَلِّيَ كُلْنَا نَمْسَحُ الْأَحْذِيَةَ
 وَلِصَخْرٍ نَقَشَتْ عَلَيْهِ بِجُوعِي
 أَنَّهُ مَطَرٌ يَتَدَحْرَجُ تَحْتَ جَفُونِي وَتَرَقُّ
 وَلِبَيْتٍ نَقَلْتُ مَعِي فِي ضِيَاعِي تُرَابَهُ
 أَنَحْنِي - هَذِهِ كُلُّهَا وَطَنِي ، لَا دِمَشْقُ .

الوجه البعيد

حين كسرتُ القشْرَ والجليدَ
حين قتلتُ القمرَ المغطى بالسَّحَرِ والدخانِ ،
دخلتُ في أغواركِ المُنْصَاءَةِ
بالعُشْبِ والبراءِ ،
قَرَبْتُ وجهَ العالمِ البعيدِ .

لستِ على سريريَ المفروشِ بالجنونِ
رَمَلِيَّةَ النَّعَاسِ
لستِ معي قَشّاً ولا يَبَاسَ
يا امرأةَ الألامِ والصَّوَانِ
يا أختَ قَاسِيُونِ .

صوت

أغنى من الرعب
أغنى من التمرّد المقهور
أنتَ، ومن رعد على الصّحراء،
يا وطناً مُصمّغاً مكسوراً
يسير مشلول الخطى قُربى .

وفيا ...

هربت مدينتنا
فرقصت أستجلي مسالكها
ونظرت - لم ألمح سوى الأفق
ورأيت أن الهارين غداً
والعائدين غداً
جسدٌ أمزقه على ورقني .

ورأيت - كان الغيم حُنجرةً
والماء جُدراناً من اللهب
ورأيت خيطاً أصفرأً دبّقاً
خيطاً من التاريخ يعلقُ بي
تجتزأيامي وتعقدُها
وتكرها فيه - يدٌ ورثت
جنسَ الدُمى وسُلالة الخِرَقِ .

ودخلتُ في طقس الخليقة في

رَحِمَ المِياهِ وَفَتَنَةَ الشَّجَرِ
 فرأيتُ أشجاراً تراودني
 ورأيتُ بين غُصُونِها غُرُفاً
 وأسرَّةً وكوى تُعاندني ،
 ورأيتُ أطفالاً قرأتُ لهم
 رَمَلِي ، قرأتُ لهم
 سُورَ الغمامِ وآيةَ الحَجَرِ ؛
 ورأيتُ كيف يسافرون معي
 ورأيتُ كيف تُضيءُ خلفهمُ
 بُرُكُ الدَّموعِ وَجُتَّةُ المطرِ .

هرَّبتُ مدينتنا —
 ماذا أنا ، ماذا؟ أسنبلةً
 تبكي لِقَبْرِ
 ماتت وراء الثلج والبردِ
 ماتت ولم تكشف رسائلها
 عني ولم تكتب إلى أحدٍ ،
 وسألتُها ورأيت جثَّتَها
 مطروحةً في آخر الزَّمنِ
 وصبرختُ — «يا صمت الجليد أنا
 وطنٌ لغربتها

وأنا الغريبُ وقبرُها وطني» .

هربت مدينتُنا
فرأيتُ كيف تحوّلت قدّمي
نهرًا يطوف دماً
ومراكباً تنأى وتتسعُ
ورأيتُ أن شواطئي غرقُ
يُغوي وموجي الريح والبجعُ .

هربت مدينتُنا
والرفضُ لؤلؤةٌ مكسرةٌ
ترسو بقاياها على سفّني
والرفضُ حطّابٌ يعيش على
وجهي — يُللمني ويُشعلني
والرفضُ أبعادٌ تشتتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي
موتي يُحاورني ويتبعني .

هربت مدينتُنا
فرأيتُ كيف يُضيئني كفّني
ورأيتُ — ليت الموت يُمهّلني .

شَدَاد

عاد شَدَادُ عادُ
 فأزفَعُوا رَايَةَ الحَنِينِ
 واتركُوا رَفْضَكُم إشارَةً
 فِي طَرِيقِ السَّيْنِ
 فَوْقَ هَذِي الحِجَارِهِ ،
 بِاسْمِ ذَاتِ العِمَادِ .
 إِنَّهَا وَطَنُ الرَّاغِبِينَ
 الَّذِينَ يَسُوقُونَ أَعْمَارَهُمْ يَائِسِينَ
 كَسَرُوا خَاتَمَ القِمَاقِمِ
 وَاسْتَهْزَأُوا بِالوَعِيدِ
 بِجَسُورِ السَّلَامِ ،
 إِنَّهَا أَرْضُنَا وَمِيرَاتُنَا الْوَحِيدِ
 نَحْنُ أَبْنَاءُهَا الْمُنْظَرِينَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ .

الزمان الصغير

مزمور

أين تنتهي المسافة ، أين يبطل الخوف؟
أنادي الفراغ أفرغ الممتلئ . حتى الصوان رخو ، حتى الرمل يتأصل في
الماء — لماذا الطرق ، لماذا الوصول؟
ضالٌ ضالٌ ولن أعود . السقوط حالتي وشرطي ، الجنة نقيضي .
إنني عرسٌ وأعلن جاذبية الموت — أنا الغيم ولا يباس عندي ، أنا القفر
ولا غيم لي .
أختبئ وراء اللغز ، أختبئ تحت جُبة الفصول وأصوص من فتوقها .
أمنح لخطواتي شكلها وأقول للبحر اتبعني .
والشجر أوراقٌ في دفاتري والحجر قصائدٌ مثلي .
سأكشط جلدة الأفق حتى ينزف ويسيل . سأطير بين الجرح والجرح ،
نتقاسم الفضاء ، الموت وأنا
نرفع بيرق المجاعة ، الخبز وأنا
وغداً أعلق بثوب الخرافة وأتسلق حائط الظل . سيعلق بي آنذاك موكبٌ
من مزامير الحجر —

آه ، أيها الجنون يا سيدي يا مسيحي .

أبحث عن شمسٍ تُقيم في العيون ، عن عيونٍ ترى الضوء كلَّ الضوء .
أبحث عن جذع شجرةٍ يصير جسداً ، أبحث عما يُعطي للكلمة عضواً
جنسياً ، وعما يثقب السماء .

أبحث عما يُعطي للحجر شفاه الأطفال ، وللتاريخ قوسَ قزح ، وللأغاني
حناجر الشجر .

أبحث عما يمدُّ التخومَ المتموجة ، التخومَ التي لا تُرى بين البحر
والصخر ، بين السحاب والرمل ، وبين النهار والليل .

أبحث عما يوحدُ نبراتنا - الله وأنا ، الشيطان وأنا ، العالم وأنا ، وعما
يزرع بيننا الفتنة .

آه ، أيها البحث يا وعائي .

النهار

أَلنهارُ كسانا
بعباءاته القديمة .
أَلنهارُ بَكَانا هنا وبَكَانا هناكُ
فاتحاً صدره للهزيمة
راسماً شارة الملاك
فوق أشلائنا وخطانا .

طريق

أيهذا الطريقُ الذي يرفضُ أن يبدأ
نحن وجهُ رأى
فأحبُّ النهارَ أحبُّ الحضورَ ،
كان في أرضنا إلهٌ نسيناه مُذْ نأى
وحرقنا وراءه هيكلاً الشمع والنذور .
نحن صُغْنَا من الغيابِ
صنماً من ترابٍ
ورجمناه بالحضورِ
بالطريق الذي كاد أن يبدأ ،
أيهذا الطريقُ الذي يجهل أن يبدأ .

لا كلمات بيننا

هل تتركُ الرمالُ أهدابنا
هل يغسلُ الطوفانُ أرضَ القشور؟
تفتّتي واخترقي يا بدورُ
لا كلماتُ بيننا لا صدَى -
تهلّمت قبل الطريقِ الجسورُ .

وداع

قلنا لكِ الوداعَ من سنينُ
قلنا لكِ المرثيةَ التائبةَ ،
يا هالة الملائك الميَّتين
يا لغة الجراة الهاربة .

أَلَكلماتُ احْتَقَنَتْ بالوَحولُ
أَلَكلماتُ ازْيَنْتُ بالمخاضِ -
عادتُ لنا أرحامنا الغائبة
وها هيَ الأمطارُ والسيولُ
يا لغة الأنقاضِ
يا هالة الملائك الميَّتينُ .

موت

نموتُ إن لم نخلق الآلهة
نموتُ إن لم نقتل الآلهة —
يا ملكوت الصخرةِ التائه .

الرياح المضيئة

أَلرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضيئةُ
لم تزل خلقنا بطيئه .
نحن والرعبُ في الطريقُ
برّدى بيننا والفراتُ
كم حملناهما في القفارُ
رايةً من غبارٍ وغازُ
وهمسناهما صلاةً —
برّدى والفراتُ .
والرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضيئةُ
لم تزل خلقنا بطيئه .

القوقعة

مَرَّ في أهدابنا وجهُ المدينة
ضائعاً تحت جليد الأتقعه
فَهْتَفْنَا
نحن نحيا في تجاويف المدينة
كالحلازين وراء القوقعة ،
أيها الرقصُ اكْتَشِفْنَا .

أرض الغياب

هي ذي أرض العذاب
لا غَدَاتٍ ولا رِيحٍ تُضِيءُ
أيُّ صوتٍ سيجيءُ
يا أحبائي في أرض الغياب .

رسالة

أَلْبَلَاذُ الَّتِي حَلَمْنَا بِهَا وَفَتَحْنَا إِلَيْهَا الطَّرِيقَ
أُفْقًا جَرَحَتْهُ الْجَفُونُ الْخَجُولَةُ ،
أَمْسٍ فِي كِبَرِيَاءِ الْجَنُونِ الصَّدِيقِ
وَاحْتِضَارِ الطُّفُولِ
أَمْسٍ جُعْنَا لَهَا وَرَسَمْنَا
صُورَةً بِاسْمِهَا وَهَالَهُ
وَكَتَبْنَا إِلَيْهَا رِسَالَهُ —
أَلْبَلَاذُ الَّتِي جَرَحَتْهَا الْجَفُونُ الْخَجُولَةُ .

التائهون

أيها التائهون الحَيَارَى
الَّذِينَ يَجِئُونَ قَبْلَ الطَّرِيقِ ،
الَّذِينَ يَجِئُونَ قَبْلَ النِّدَاءِ
بِاسْمِكُمْ يَتَقَدَّمُ فَجَرُ السَّمَاءِ
سَاحِرًا أَخْذًا كَالْحَرِيقِ
وَلَكُمْ أَرْضُنَا وَجَمِيلَاتُنَا الْعَذَارَى
وَلَكُمْ ، فِي الرِّيحِ الْعَنِيدَةِ ،
كُتِبَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ،
أَيُّهَا التَّائِهُونَ الْحَيَارَى .

الضياء

الضياءُ الضياءُ ...
الضياءُ يخلصنا ويقود خطانا
والضياءُ
ألقِ وسواه القناعُ ؛
والضياءُ يوحدنا بسوانا
والضياءُ يعلّق وجه البحارِ
برؤانا
والضياءُ انتظار .

عودة الشمس

أَلْقَدْرُ اهْتَزَّ عَلَى الْبَحَارِ
وَانْكَسَرَتْ خَوَاتِمُ الْخِرَافَةِ
وَهَا هِيَ الْأَغْوَارُ ،
فَأَتْرَكْ لَنَا أَنْ نَزْرَعَ الشَّطْطَانَ بِالْمَحَارِ
أَنْ تُرْسِيَ الْفَلَكَ عَلَى صِنَيْنِ
وَأَتْرَكْ لَنَا أَنْ نَصْعَقَ التَّنِينِ
يَا سَيِّدَ الْخِرَافَةِ .

وَحِينَمَا تَنْتَحِبُ الْأَجْرَاسُ وَالطَّرِيقُ
فِي هَجْرَةِ الشَّمْسِ عَنِ الْمَدِينَةِ
أَيْقِظْ لَنَا ، يَا لَهَبَ الرَّعْدِ عَلَى التَّلَالِ
أَيْقِظْ لَنَا فِينِيقَ -
نَهْتَفُ لِرُؤْيَا نَارِهِ الْحَزِينَةِ
قَبْلَ الصُّحَى وَقَبْلَ أَنْ تُقَالَ
نَحْمَلُ عَيْنِيهِ مَعَ الطَّرِيقِ
فِي عَوْدَةِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

الصخرة العاشقة

الرَّحِيلُ انتهى والطريقُ
صخرةٌ عاشقةٌ .

إننا ندفنُ النهارَ القَتِيلُ
إننا نكتسي بريح الفجيعه ،
غير أنا غداً سنهزُّ جذوعَ النخيلِ
وغداً نغسلُ الإلهَ الهزيلِ
بدم الصَّاعقه ،
ونمدُّ الخيوطَ الرقيقه
بين أجفاننا والطريقِ .

الرايات

أَلْخِيوطُ التي نسجتُها الجذورُ
بين أهدابنا والغبارِ
أُنْقَلْتُ بحطامِ النهارِ
أُنْقَلْتُ بالجسورِ —
هي راياتُنا في رحيلِ العُبارِ .

الطوفان

إِذْهَبِي ، لَا تُرِيدُكَ أَنْ تَرْجِعِي يَا حَمَامَةً
إِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِحَمْلِهِمْ لِلصَّخُورِ
وَأَنَا - هَا أَنَا أَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْقَرَارِ السَّحِيقِ
عَالِقًا بِشَرَاخِ السَّفِينَةِ .
إِنَّ طُوفَانَنَا كَوَكَبٍ لَا يَدُورُ
إِنَّهُ غَامِرٌ عَتِيقٌ -
رَبِّمَا نَتَنَشَّقُّ فِيهِ إِلَهَ لَعَصُورِ الدُّفِينَةِ
فَاذْهَبِي ، لَا تُرِيدُكَ أَنْ تَرْجِعِي يَا حَمَامَهُ .

الزمان الصغير

أَلَسَرَّابُ المَرَاثِي لَنَا وَالنَّهَارُ الضَّرِيرُ
وَلَنَا جَنَّةُ الدَّلِيلِ ،
نَحْنُ جِيلَ السَّفِينَةِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ هَذَا الزَّمَانِ الصَّغِيرِ .
أَسْلَمْتُنَا الْبَحَارُ الْأَمِينَةُ
الْبَحَارُ الَّتِي تُرْتِّلُ مَرثِيَةَ الرَّحِيلِ
أَسْلَمْتُنَا إِلَى الْمَتَاءِ -

نَحْنُ جِيلَ الْحَوَارِ الطَّوِيلِ
بَيْنَ أَنْقَاضِنَا وَالْإِلَهَ .

المدينة

نارُنا تتقدّم نحو المدينة
لتهدّ سريرَ المدينة .
سنهدّ سريرَ المدينة
سنعيشُ ونعبرُ بين السّهام
نحو أرضِ الشّفاية الحائرة
خلف ذاك القناع المعلّق بالصخرة الدائرة .
حول دوامة الرّعب
حول الصدى والكلام
وسنغسل بطنَ النهار وأمعاءه وجنيته
وسنحرق ذاك الوجود المرقّع باسم المدينة
وسنعكسُ وجهَ الحضورِ
وأرضَ المسافاتِ في ناظر المدينة ؛
نارُنا تتقدّم والعشب يولد في الجمرة الثائرة
نارُنا تتقدّم نحو المدينة .

طرف العالم

مزمور

أخلق للريّج صدراً وخاصرة وأسند قامتي عليها . أخلق وجهاً للأفق
وأقارن بينه وبين وجهي . أتخذ من الغيوم دفاتري وحبري ، وأغسل الضوء .
للسقائق زينةً أتزيّا بها ، للصنوبرة خصرٌ يضحك لي ، ولا أجد من أحبه
— هل كثيرٌ إذن ، أيها الموت ، أن أحب نفسي؟

أبتكر ماءً لا يرويني . كالهواء أنا ولا شرائع لي — أخلقُ مناخاً يتقاطع
فيه الجحيم والمجنة . اخترع شياطين أخرى وأدخل معها في سباقٍ وفي
رهان .

أكنس العيونَ في غباري . أتسلّل في ألياف الماضي فاتحاً ذاكرة
الأولين . أنسج ألوانها وألوان الإبر . أتعب وأرتاح في الزرقة — يُشمس تعبني
ويُقمّر في لحظةٍ واحدة .

أطلق سراح الأرض وأسجنُ السماء ، ثم أسقط كي أظلّ أميناً للضوء ،
كي أجعل العالم غامضاً ، ساحراً ، متغيراً ، خطراً ؛ كي أعلن التخطي .
دُم الآلهة طريّاً على ثيابي . صرخةٌ نورسٍ تصعدُ بين أوراقِي —
فلأحملُ كلماتي ولأُمضِ . . .

سفر

مُسافرٌ دونما حراكٍ :
يا شمس ، من أين لي خطاكِ ؟

طُرف العالم

ما هَمَّنِي الممكَنُ - أفرَحَ أو أَلَمَ ،
ففي تراتيلي
أبدع إنجيلي
أبحث عن مَنجَباً
عن عالمٍ يَبْدَأُ
في طُرفِ العالمِ .

آدم

وَشَوَّسَنِي آدَمَ
بِغَصَّةِ الْإِه
بِالصَّمْتِ بِالْأَثَّةِ -
«لَسْتُ أَبَ الْعَالَمِ
لَمْ أَلْمَحِ الْجَنَّةِ
خُذْنِي إِلَى اللَّهِ» .

جزيرة الحجر

حول خطاي تبتكر
جزيرة من الحجر
من الشر -
أواجهها مقيمة
وشطها على سفر.

ريشة الغراب

1

أتِ بلا زهرٍ ولا حقولٍ
أتِ بلا فصولٍ ؛
لا شيءَ لي في الرَّمَلِ في الرِّياحِ
في روعة الصَّبَّاحِ
إلا دَمٌ فتِيّ
يجري مع السماءِ
والأرضِ في جبينِي النبيّ
رَفٌّ عصافيرٍ بلا انتهاء .

أتِ بلا زهرٍ ولا حقولٍ
وفي دمي نبعٌ من الغبارِ ؛
أعيش في عينيّ
أكل من عينيّ -
أحيا ، أسوقُ العمرَ في انتظارٍ
سفينةٍ تعاقبُ الوجودَ

تغوص للقرار
كأنها تحلم أو تحار
كأنها تمضي ولا تعود .

2

في سَرَطان الصَّمْتِ في الحصار
أكتب أشعاري على التراب
بريشة الغراب ،
أعرف ، لا ضوء على جفوني -
لا شيء ، إلا حكمة الغبار
أجلس في المقهى مع النهار
مع خشب الكرسي
وعقب اللُفافة المرمي
أجلس في انتظار
موعدي المنسي .

3

أريد أن أجتو أن أصلي
للبومة المكسورة الجناح
للجمر للرياح ،
أريد أن أصلي

للكوكب المشدوه في السماء
 للموت للوباء ،
 أريد أن أحرقَ في بخوري
 أيامي البيضَ وأغنياتني
 ودفتري والحبر والدواة
 أريدُ أن أصلِّي
 لأيِّ شيءٍ يجهل الصلاة .

4

بيروتُ لم تظهر على طريقي
 بيروتُ لم تُزهَرْ وها حقولي
 بيروتُ لم تُثمرْ
 وها ربيعُ الجراد والرمل على حقولي ،
 وحدي بلا زهرٍ ولا فُصولٍ
 وحدي مع الشمارِ
 من مغرب الشمس إلى ضُحاهها
 أعبر بيروتَ ولا أراها
 أسكن بيروتَ ولا أراها...
 وحدي أنا والحبُّ والشمارِ
 نمضي مع النهارِ
 نمضي إلى سواها .

الفجر يقطع خيطه

ألفجر يقطع خيطه
يضع الجفونَ على التراب
ويداي ساريتان تحتضنانِ
أشعة الغيابِ .

رحلت شبابيكي -
فما من زهرةٍ ما من كتابِ
أنا والزوايا ،
لي خيوطي الواهاتُ ، ولي عُرابي .

الباب

منذ أسابيع وأجفائه
تربض في الباب
ألجسم في فراشه ضائع
يبحث والقلب على الباب
ما من يد دقت على الباب ؛
يشتاق أن يبكي -
ما أكرم البكاء ما أغناه ، في نهره
سفينة تقل أحبابي .

هنا أنت؟

عيناَيَ عند فراشةٍ
والرَّعبُ يضربُ أغنياتي
- مَنْ أنتَ؟
- رمحُ تائهٍ
رَبُّ يعيشُ بلا صلاةٍ .

نوم الجديد

1

رحنا مع القلُك ، مجاديفنا
وعُدُّ من الله وتحت المطرُ
والوَحْل ، نحيا ويموت البَشَرُ .
رحنا مع الموج وكان الفضاءُ
حبلاً من الموتى ربطنا به
أعمارنا وكان بين السماء
وبيننا نافذةٌ للدعاء .

«يا ربّ ، لِمَ خَلَّصْتَنَا وحدنا
من بين كلِّ الناس والكائنات؟
وأين تُلقينا ، أفي أرضك الأخرى ،
أفي موطننا الأولِ
في ورقِ الموت وريح الحياة؟
يا ربّ فينا ، في شراييننا
رعبٌ من الشَّمْس ؛ يتسَنّا من النُّور

يُسْنا من غدٍ مُقبلٍ
فيه نُعيد العَمَر من أوّلٍ .

يا لَيْتَ أَنّا لمْ نصِرْ بِذِرّةٍ
للخلقِ ، للأَرْضِ وأجِالِها
يا لَيْتَ أَنّا لمْ نزلْ طِينَةً
أو جَمْرَةً ، أو لمْ نزلْ بَيْنَ بَيْنٍ
كي لا نرى العالمَ كي لا نرى
جَحيَمه وربّه مَرَّتَيْنِ .

2

لو رَجع الزّمانُ من أوّلٍ
وغمَرَت وجهَ الحِياة المِياه
وارتَجَت الأرضُ وخَفَّ الإِلَهُ
يقولُ لي يا نُوح أنقِذْ لَنا
الأحياءَ - لمْ أحفَلْ بقولِ الإِلَهُ
ورُحَت في قُلُوبي ، أزيحُ الحَصَى
والطينَ عن مُحاجِر المِيتِينِ
أفُتَح للطوفانِ أعماقَهم ،
أهْمَس في عروقِهم أَنّا
عُدنا من التّيه ، خَرَجنا من الكَهفِ

وغيرنا سماء السنين ،
واننا نبحر لا ننثني رعباً
ولا نصغي لقول الإله
موعدنا موت ، وشطاننا
يأسُ ألفناه ، رضينا به
بحراً جليدياً حديد المياہ
نعبره نمضي إلى منتهاه ،
نمضي ولا نصغي لذلك الإله
تقنا إلى رب جديدٍ سواء .

الموت الجماد

مرثية بلا موت

أركض خلف الوطن المسجون
في غابة الأعراس في طفولة الأجراس ؛
أستنفر الأهداب والظنون
حول سرير العشب والحصاد
وأسرج الأفراس
نحوك يا بلادي
يا وطن الثلج على الجفون .

مروثية عمر بن الخطاب

صوتُ بلا وعدٍ ولا تعلُّه
يصرخ ، والشمس له مظلة ،
متى ، متى تُضربُ يا جِبِلَّة؟

ويا صديقَ اليأس والرجاء
أَلْجَبْرُ الأخضر فوق النار
ونحن في انتظار
موعدك الآتي من السماء .

مرثية أبي نواس

تأثُّ والنهار حولك دهرٌ من الدَّمَنُ
شاعرٌ كيف يَشْرَبُ
على وجهك الزَّمَنُ
عارفٌ أنني وراءك في موكب الحجَرِ
خلف تاريخنا المواتِ
أنا والشعر والمطرُ
ريشتي ناهدُ الجوّاري وأوراقِي الحياة .

خلُّنا يا أبا نَواسِ
الليالي تلقنا بالعباءاتِ والدَّمَنِ
وأحباؤنا طُغاةٌ مراوون كالسَّماءِ
خلُّنا للعذاب الجميل وللريحِ والشرِّ
نقتلُ البعثَ والرجاءَ
ونغني ونستجير ونحيا مع الحجَرِ
نحن والشعر والمطرُ ،
خلُّنا يا أبا نَواسِ .

موتية الحلاج

ريشتك المسمومة الخضراء
ريشتك المنفوخة الأوداج باللهيب
بالكوكب الطالع من بغداد ،
تاريخنا وبعثنا القريب
في أرضنا - في موتنا المعاد .

ألزمنُ استلقى على يديك
والنار في عينيك
مجتاحةً تمتد للسماء
يا كوكباً يطلع من بغداد
محملاً بالشعر والميلاد ،
يا ريشةً مسمومةً خضراء .

لم يبق للآتين من بعيد
مع الصدى والموت والجليد
في هذه الأرض النشورية -

لم يبقَ إلا أنتَ والحضورُ
يا لغة الرّعد الجليليّه
في هذه الأرض القشوريّه
يا شاعر الأسرار والجذور .

مرثية بشار

لا تبكهُ واتركهُ للسوط وللخليفةِ المجنونِ
وسمهُ الشيطانِ أو قسمهُ الطاعونِ
فهو هُنا ، هناك لا يزالُ
يهدرُ في الشوارعِ الصمَاءُ
يهدرُ في أغوارنا الخرساءِ
يهدر كالزَّلْزالِ .
وهو هُنا ، هناك لا يزالُ
أعمى بلا أرضٍ ولا مدينه
يبحث عن لؤلؤةٍ زرقاءِ
تحفظها أشعاره الأمينه
للسنة العجفاءِ .

مراثية

أَيُّهَا الْمَيِّتُ فَوْقَ الْخَشَبَةِ
يَا صَدِيقِي
رَسَمْتُ وَجْهَكَ أَزْهَارُ الطَّرِيقِ
وَمَشَتْ خَلْفَ خَطَاكَ الْعَتَبَةُ .

مرثية

أَلْغَبَارُ يُغْنِيكَ يرفع أشعاره إليك
مانحاً للمهاوي خُطَاكَ
رائياً هذه البقايا
من أغانيك من رِوَاكَ .

أَلْغَبَارُ يُغْطِي زجاج الفصولِ
يغْطِي المرايا
ويُغْطِي يديك .

**كتاب التحولات والهجرة
في أقاليم النهار والليل
(1965)**

زهرة الكيمياء

ينبغي أن أسافر في جنة الرّماذ
بين أشجارها الخفيفة
في الرّماذ الأساطير والماس والجزّة الذهبية .
ينبغي أن أسافر في الجوع ، في الورد ، نحو الحصا
ينبغي أن أسافر ، أن أستريح
تحت قوس الشّفاء اليتيمة ،
في الشّفاء اليتيمة في ظلّها الجريح
زهرة الكيمياء القديمة .

الدهشة الأسيرة

ذاهبُ أتقياً بين البراعم والعشبِ ، أبني جزيرة
أَصِلُ الغصنَ بالشُّطوطِ
وإذا ضَاعَتِ المرافقِ واسودَّتِ الخطوطُ
ألْبَسُ الدهشةَ الأسيرةَ
في جناحِ الفراشةِ
خلفَ حصنِ السَّنابلِ والضَّوءِ في مَوْطِنِ الهَشَاشَةِ .

شجرة النهار والليل

قبل أن يأتيَ النهارُ ، أجيءُ
قبل أن يتساءلَ عن شمسِهِ ، أضيءُ
وتجيءُ الأشجارُ راكضةً خلفي ، وتمشي في ظليّ الأكمامُ
ثم تبني في وجهي الأوهامُ
جُزْراً وقلاعاً من الصُّمْتِ يجهل أبوابها الكلامُ
ويضيءُ الليلُ الصَّدِيقُ ، وتنسى
نفسها في فراشي الأيامُ
ثم ، إذ تسقطُ الينابيعُ في صدري ،
وترنحي أزوارها وتنائمُ
أوقفُ الماءَ والمرايا ، وأجلو
مثلها ، صفحةَ الرؤى ، وأنامُ .

كنيسة النهار

صارت لي الكؤوس والأكمام
وسادة
حُلماً على الوسادة ،

من زمنِ الولادة
في غابةِ الرضاع والفِطام
أنقلُ أجراسي في الليل إلى كنيسة النهار
أَلَسَّعُ قُدَّاسِي بَيْنَ الطَّلَعِ وَالشَّمَاثِ
وَالوَرَقِّ الْعِمَادَةِ .

شجرة الشرق

صيرتُ أنا المرأةُ :
عكستُ كلَّ شيءٍ
غيَّرتُ في نارك طقسَ الماءِ والنباتِ
غيَّرتُ شكلَ الصوتِ والنداءِ

صرتُ أراك اثنين :
أنت وهذا اللؤلؤ السابحُ في عيني
صرتُ أنا والماء عاشقين :
أولدتُ باسمِ الماءِ
يُولدُ في الماءِ
صيرتُ أنا والماءَ تَواأمينَ .

الإشارة

مَزَجْتُ بَيْنَ النَّارِ وَالتَّلُوجِ -
لَنْ تَفْهَمَ النَّيْرَانُ غَابَاتِي وَلَا التَّلُوجُ
وَسَوْفَ أَبْقَى غَامِضاً أَلِيفاً
أَسْكُنُ فِي الْأَزْهَارِ وَالْحِجَارِ
أُغِيبُ
أَسْتَقْصِي
أَرَى
أَمُوجُ
كَالضَّوءِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْإِشَارَةِ .

شجرة الحنايا

في حقول الكأبة ، في العشب أرسم أيامي الحَجَرِيَّة
كاسراً صفحة المرايا
بين شمس الظهيرة والماء في البركة الأدمية .
سَنَوَاتِي تُهَاجِرُ كالجوع تنهارُ في غابة الحنايا
سَنَوَاتٌ...
رَأَيْتُ مناقيرَهَا تَتَشَابَكُ ، تنهارُ في غابة الحنايا
بين أعشاشِهَا الأبدية .

شجرة النار

عائلةٌ من ورق الأشجار
تجلسُ قُربَ النَّبْعِ
تجرحُ أرضَ الدَّمْعِ
تقرأُ للماءِ كتابَ النَّارِ،

عائلتي لم تنتظر مجيئي
راحَتْ
فلا نارٌ ولا آثارُ .

شجرة الصبام

لاقني يا صباحُ إلى حقلنا الياثسِ
في الطريقِ إلى حقلنا الياثسِ
شَجَرُ يَابِسٍ كَم وَعَدْنَا
أَنْ نَظْلَ سَرِيرَيْنِ ، طِفْلَيْنِ ، فِي ظِلِّ الْيَابِسِ .

لاقني ، هل رأيتَ العُصُونَ سمعتَ نداءَ العُصُونَ
تركْتَ نسغَهَا كلامًا

كلماتُ تشدُّ العيونَ
كلماتُ تشقُّ الحجارةَ

لاقني ، لاقني...
كأَنَّ التَّقِينَا ، نَسَجْنَا الظَّلَامَا
ولبسنا ، وجئنا ، قرعنا على بابه ، رفعنا السَّتَارَه
وفَتَحْنَا شَبَابِيكَه وانزَوِينَا

في حنايا الجذوع
واشتغشنا بأجفاننا وسكننا
دورقَ الحلم والدموع
وكأنا بقينا
في بلاد الغصون ، أضغنا طريقَ الرجوع .

غابة السحر

ليكنُ ،
جاءتِ العصافيرُ وانضمَّ لفيقِ الأحجارِ للأحجارِ
ليكنُ ،
أوقفُ الشوارعَ والليلَ
ونمضي في موكبِ الأشجارِ
الغصونُ الحقائقُ الخضرُ والحلمُ وسادُ
في عطلةِ الأسفار
حيث يبقى الضحى غريباً ويبقى
وجههُ خاتماً على أسراري .

ليكنُ ،
دَلّني شعاعَ وناداني صوتُ
من آخرِ الأسوارِ...

شجرة الأهداب

... وحينما استسلمتُ في جزيرة الجفون
ضيفاً على الأصدافِ والجرارِ ،
رأيتُ أن الدَّهرَ قارورةً
تجمعُ بين الماءِ والشرارِ
وتمنحُ الإنسانَ أن يكونَ
أسطورةً أو نارَ أسطورة ،

وكنتُ محمولاً على الغصونِ
في غايةٍ بيضاءٍ مسحورة
نهارها المندور للجنونِ
مدينتي ، والليلُ مقصورة .

شجرة الكابة

وَرَقٌ يَتَقَدَّمُ يَرْتَاحُ فِي حُفْرَةِ الْكَابَةِ
حَامِلاً زَهْرَةَ الْكَابَةِ
قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الْكَلَامُ
صَدَأً
يَتَنَاسَلُ فِي قَشْرِهِ الظَّلَامُ

وَرَقٌ سَائِحٌ يَتَقَدَّمُ يَرْتَادُ أَرْضَ الْغُرَابَةِ
غَابَةً بَعْدَ غَابَةٍ
حَامِلاً زَهْرَةَ الْكَابَةِ . . .

اقلیم البراعم

مرّ هنا إيكاز
خيم تحت الورق الشاحب شمّ النار
في غرف الخُضرة في البراعم الوديعة
وهزّ،
هزّ، الجذع، واستجار
والثف كالوشيعه
ثم انتشى وطاز...

لم يحترق - لَمَّا يَعْدُ إيكاز .

(1963)

المسرح والمرايا

(1968)

كلمات

كلماتُ لها أرجلُ وبيوتُ
كلماتُ تموتُ
وهي حُبلى ... سكنا
وطناً راودته ، شردنا
في تقاطيعه ، ارتسمنا
حول آفائه غصونا
وارتسمنا رؤى وعيوننا

كلماتُ رمت قشرها ، رافقتني
في طقوس المدينة
ودخلنا مقاماتها ، احترقنا
حُلماً - ها هنا دفننا
جُثَّة العالم اقتسمنا
إرثه واستعدنا
لهبَ الفطرة الدفينة .

كلماتٌ تسافر في صرخة الطفولة

كم حملنا خطانا مزجنا البطولة

بالجنون ، احتمينا

ببراكينه . . .

كلماتٌ

حضنت صمتها وماتت

... وحرقتنا مناديلنا وقرأنا

سورة ،

وذبحنا

حلماً كالخروف

بين إيقاعها والحروف .

... وامتزجنا بها ورقنا

فوقها

ونَهَضنا

وبدأنا ، وعدنا

والمدى جامع ،

كلمات ،

كلمات هي الثورة -

... اجترحنا

كل ما يهدم المدينة أو يخلق المدينة

كلمات الحنين وأقواسه الشريدة

كلماتُ تهاجر بين العُصُونُ
كلماتُ تموتُ مع الحلم في آخر العيونُ
كلماتُ الحدود البعيدة
كلماتُ الأفول
والصُّعُودِ ومعراجِهِ ،
الحلولُ
في الجذور وغاباتِها ،
كلماتُ
شهدت جثَّةَ الحسينِ
وهي تبكي وتجري مع الرافدينِ
مُتُّ في حضنها وعشتُ
وَلَمَرْتُ شرايينها ونَبَّشتُ
كلماتُ المَجِيءِ -
سَفَرُ مُعْتَمِ خُطواتُ نُضْيِ
في الزَّمانِ المهرولِ في وَجْهِهِ البَطِيءِ
كلماتُ سفينتهِ
في البحارِ الدفينهِ
بينَ نارِ الغموضِ ومزمارِهِ ، الدَّفِينهِ
تحت رقصِ الجذورِ
الدَّفِينَةُ
حيثُ تمضي وتمضي وتمضي

مَطَرًا هَازِيًا
وَتَمْضِي
لَهَا هَازِيًا
وَتَمْضِي ...

لون الماء

لونك لون الماء
يا جسّد الكلام
حين يكون الماء
خميرة أو صاعقاً أو نار -
واشتعل الماء وصار صاعقاً وصار
خميرة ونار ،
نيلوفرأ
يسأل عن وسادتي
ينام . . .
يا نهر الكلام
سافر معي يومين ، جمعتين في تموج الأسرار
نلتقط المحار ، أو نستكشف البحار
نمطر يا قوتاً وأبنوساً
نعرف أن السحر
جنّة سوداء
ترفض أن تعشق غير البحر .

سافرٌ معي واظهرُ هنا... وغِبْ هنا...
 واسألْ معي يا نَهَرَ الكلامِ
 عن صَدَفٍ يموتُ كي يصيرُ
 سحابةً حمراءَ
 تُمطرُ،
 عن جزيرةٍ
 تَسِيرُ أو تَطِيرُ،
 واسألْ معي يا نَهَرَ الكلامِ
 عن نجمةٍ أُسِيرُ
 بين شَبَاكِ الماءِ
 تحملُ تحت ثديها
 أيامي الأخيرة .
 واسألْ معي يا نَهَرَ الكلامِ
 عن حجرٍ يَنْبُعُ منه الماءُ
 عن موجةٍ يولد منها الصَّخْرُ
 عن حيوانِ المِسْكِ ، عن يَمَامَةٍ من نورِ
 واهبطْ معي في شَبَكِ الدِّيَجُورِ
 في القاعِ ،
 حيثُ الزَّمَنُ المَكْسُورُ
 وليكنِ الكلامُ
 قصيدةً تلبسُ وجهَ البَحْرِ .

الزمن المكسور

امراة ورجل

- من أنت؟
— بهلولُ بلا مكان
من حجر الفضاء من سُلالة الشيطان
— من أنت؟
هل سافرتِ في جسدي؟
— مراراً
— ما رأيتِ؟
— رأيتُ موتي
— ألبستِ وجهي؟
ورأيتِ شمسيَ مثلَ ظلٍّ
ورأيتِ ظليَ مثلَ شمسٍ
ونزلتِ تحتِ سريري ، وكشفتني؟
— أكشفتني؟
— كاشفتني؟ أيقنتِ؟
— لا
— أشفيتِ بي ، وبقيتِ خائفة؟
— بلى
— أعرفتني؟
— أعرفتني؟

أغنية للرجل

جانبيّاً ،
رأيتُ وجهك مرسوماً على جذع نخلةٍ
ورأيتُ الشمسَ سوداءَ في يديكِ ،
فأسرجتُ حنيني إلى التّخيل ، حملتُ اللَّيلَ في سلّةٍ ، حملتُ
المدينةَ
وتناثرتُ حول عينيكِ ، أستطلعُ وجهي -
رأيتُ وجهكِ جوعاناً كطفلٍ ،
حوطّته بالتّعاويدِ
وفتّت فوقه ياسمينّة .

أغنية للمرأة

جانبياً
رأيتُ وجهكَ شيخاً
سرقته الأيامُ والأحزانُ
جاءني حاضناً قواريره الخضراء يستعجل العشاء الأخير
كلَّ قارورةٍ خليجٍ وأعراسٍ خليجٍ ومركبٍ
تغرق الأيام فيه وتغرق الشيطانُ
حيثُ تَسْتَكْشِفُ النُّوَارِسُ ماضيها وَيَسْتَشْعِرُ الغَدَ الرِّبَانُ
جاءني جائعاً ، مددتُ له حبي
رغيفاً ودورقاً وسريراً
وفتحتُ الأبوابَ للريح والشمس ، وشاركته العشاء الأخير .

المجوس

كان في وجهك المسافر ، في وجهي
نَجْمٌ ، وكان ليلٌ يجوسُ
وتَلَاقَتْ يدانا
تَلَاقَتْ خُطَانَا
وتَلَاقَتْ رِوَانَا ،
وهَبَطْنَا ، رأينا وغبنا
وظهرنا وغبنا
وأتى بعدنا المَجُوسُ .

وجه امرأة

سَكَنْتُ وجه امرأة
تَسْكُنُ في موجةٍ
يقذفها المدُّ إلى شاطئٍ
ضبيُّعٍ في أصدافه مرفأه .
سَكَنْتُ وجه امرأة
تُمَيِّتَنِي ، تُحِبُّ أن تكونَ
في دمي المُبْحَرِ حتى آخر الجنونِ
منارةً مطلقاًه .

الطريق

أَلطَّرِيقُ امْرَأَه
وَضَعَتْ رَاحَةَ الْمَسَافِرِ فِي رَاحَةِ الْعَشِيقِ
مَلَأَتْ رَاحَةَ الْعَشِيقِ
بِالْحَنِينِ وَأَصْدَاقِهِ ،
امْرَأَه
حُلُمٌ صَيَّرَتْهُ امْرَأَه
مَرْكَباً ضَيْقاً كَالْجَنَاحِ
لَا بَساً وَرْدَةَ الرِّيحِ
نَاسِياً مَوْفَاهُ .

مرآة لحظة ما

صاعد؟ كيف؟
لا جبالك من نارٍ
ولا في ثلوجها أدرجُ
لك في وجهي الكتوم
رسالاتُ حنينٍ
وفي دمي أبراجُ
كلما قلتُ: أصدعُ
انكسرَ الليلُ
وضاقَ الحنينُ والمعراجُ.

مرآة للكرسي

كُرْسِيَّكَ الشَّائِخُ كَانَ طِفْلاً
أَعْطَيْتُهُ يَدَيَّ
عَقْدَيْنِ دَمِيتَيْنِ - كَمْ تَدُلُّنِي
وَجَاعَ ، وَاسْتَرْسَلَ حَوْلَ صَدْرِي
كَمْ طَافَ وَاسْتَرَاخَ فِي عَيْنِي .
لَوْ يُنْسَخُ الْكُرْسِيُّ ، لَوْ يَصِيرُ
مُسَافِراً ، أَوْ نَظْرَةً خَجُولَهُ
لَقَلْتُ فِي أَهْدَابِكَ الْخَجُولَهُ
أَلْمَحْ كُلَّ لَيْلٍ
طِفُولَةَ الْكُرْسِيِّ ، كُلَّ لَيْلٍ
سَهْرَتُهُ ،
وَأَلْمَحْ الطُّفُولَهُ .

مرآة للوقت

أَدْعُوكَ ، أَيَّامِي بِلا حَارِسٍ
وهذه المسافة المقفَّرة
وليمةٌ للحلم ، عيدٌ من الحنين من أشجاره المثمرة
أَدْعُوكَ أَنْ تحضره .
ساريةُ الأحزان مرفوعةٌ
يا ليتَ لو ترتاحُ ، لو تتحنني
كالغُصنِ في رياحها المضمرة
وها هو الإبريقُ مرثيةٌ
أو زهرةٌ ،
والشَّايُ نافورةٌ
أَدْعُوكَ أَنْ تصغيَ ، هذا الصدى
يجيشنا بالعُشبةِ المُسكرة .
... وغربُ الوقتُ ، الحنينُ ارتدى
ثيابنا
صارَ البخورُ الذي
يلفُّ أهدابنا
يخرجُ من قبةٍ
قديمة
تخرجُ من جوهرة .

حزمة القصب

(وجوه وأقنعة . قاعة بمدخل كثيرة من طراز قديم) .

- ١ -

وجه ١ : أسمع أن الناس غاضبون
تتجد الصلاة في قلوبهم والنار...

قناع ٢ : (باستهزاء)
غاضبون؟

سرعان ما يرضون ، يهدأون -
السيف والذهب
يُطفئان نارهم ...

وجه ١ : تشبُّ من جديد
قناع ٢ : (بحماسة) :

يشبُّ من جديد
يلقَّهم كحزمة القصب
السيف والذهب ،
ولهب الجريمة

(يصمت . يتابع كمن يحلم)
فترتخي القلوبُ

والرَّكَبُ

تصيرُ مثلَ خِرْقَةٍ ...

وَيُطَبِّخُ الثَّوَارَ كَالْفَرَاخِ فِي وَلِيمَةٍ...

(يضحك)

وجه ١ : تحتقرونَ الناسَ ، تَزرِبونهم

للدَّيْحِ ،

تأكلونهم ...

قناع ٢ (مستغرباً) :

حنجرةٌ جديدةٌ

شَحَذَتْهَا بِشْفَرَةِ الثَّوَارِ؟

(بلهجة الناصح)

خَلَّ الشَّعْبَ يَا صَدِيقِي ،

فهو ، كما اختبرتُ ، مثلُ وَخْشٍ

يَظَلُّ فِي غَضَبٍ

إِلَّا إِذَا أَطْعَمْتَهُ لِلسَّيْفِ

أَوْ لِقَمَّتِهِ الذَّهَبُ .

(يخرج)

(أفتنة منحنية حتى الأرض . في إحدى الزوايا تقف امرأة كالتمثال ، تحضن

جمجمة) .

قناع ١ : (يبدو كالبرميل لا رأس له ، يخاطب وجه ١ مشيراً إلى الأفتنة المنحنية) :

وجه ١ : الشَّعْبُ ، تعويدُكَ الدَّائِمَةُ

رَأَيْتَ؟ (يشير باحتقار إلى الأقنعة المنحنية)

لا ، صَوْرَتُكَ الغاشمةُ

عرضتها .

الشَّعْبُ ليس قشاً

تحنيه ، أو قناعاً...

قناع ١ : (ثائراً) :

خذوه :

خَلُّوا رَأْسَهُ هَدِيَّةً

كأساً من العظام ،

أَدَمِيَّةُ .

(يخرج بعض الأقنعة وهم يجرون وجه ١)

(تدخل أقنعة جديدة) .

— ٢ —

قناع ٢ : (إلى قناع ١ ، مقدماً له جمجمة بشكل كأس) :

أولى هدايايَ إلى مولاي ،

والحضورُ يشهدون... (مشيراً إلى الأقنعة)

أخبروه ،

تَقَدَّمُوا . . .

قناع ٣ : (يتقلد جمجمة . يتقدم ، يقف وقفة عسكرية أمام قناع ١) :

- أَصْوَاتُهُمْ
تَمْتَدُّ تَحْتَ خَطْوِنَا
كَدَرَجٍ ...
- قناع ٤ (يتقلد ساعداً . يتقدم بخطوات عسكرية إلى موازاة قناع ٣) :
- أَكْتَأَفُهُمْ
لَيْئَةً ،
حَمْرَاءُ كَالْمَوَائِدِ
- قناع ٥ (يتقلد فنحذاً وساقاً . الحركة ذاتها) :
- أَجْسَادُهُمْ
مَنْفُوحَةً كَجِثَّةِ الصَّحْرَاءِ ،
وَالصَّحْرَاءُ كَالْمَوَائِدِ
- قناع ١ (بصوت أجش ونبرة مجنونة) :
- أَلْرَّمَحْ ، هَا ...
فِي الْقَلْبِ وَالضَّمِيرِ
فِي سُرَّةِ الْحُبْلَى ، وَعَيْنِ الْطِفْلِ ، فِي الشَّهْقِ وَالزَّفِيرِ
وَالشَّجَرِ الْقَرِيبِ وَالْكَوَاكِبِ الْبَعِيدَةِ
أَلْقَتْلُ ، هَا... بِذَارِي الْوَحِيدِ ،
هَا هَا...
أَرْضِي الْوَحِيدَةَ .
(الجميع يضحكون بجنون)

أربع أغنيات لهزيمة القصب

الجانم

يَرَسُمُ الْجُوعَ عَلَى دَفْتَرِهِ
أَنْجَمًا أَوْ طُرُقًا
وَيُغَطِّي الْوَرَقَا
بِمَنَادِيلَ مِنَ الْحُلُمِ —
لَمَخْنَا

شَمْسَ حَبٍّ حَرَكَتْ أَهْدَابُهَا
وَرَأَيْنَا شَفَقًا .

النوم والنهوض من النوم

يصنع في نومه
نموذجاً لثورةٍ جامحةٍ
تعانق المستقبل الطالعا ،
ينهضُ من نومه -
تصير أيامُهُ
ببغاءَ . . .
تبكي الليلةَ البارحةُ
وحلمه الضائعاً .

الشعب

تجمّع الشجر
أثقله الصراخُ والحَنِينُ كالشَّمر
وهبَّ في مسيره
حول ضفاف النّهر . كانَ رعدٌ
يَرجّه كأنه الشرُّ —
وصبّع الشجر
حزناً على طيوره الأسيره
في الجانب الآخر من خاصرة النّهر .

الغضب

غضب الفراتُ -
في ضِفَّتَيْهِ حناجرُ
أبراج زلزلةٍ ، ورغدٍ ،
والموجُ أحصنةٌ...
رأيتُ الفجرَ مقصوصَ الذَّوَابِ
والماءَ مستوٍ الهدير يسيلُ مختضِناً حِرَابَهُ .
غضب الفراتُ
لا النارُ تطفى ذلك الغضبَ الجريحَ ولا الصَّلَاةُ .

تيمور ومهيار

(ردهة في القصر ، تيمور وحوله حراس مسلحون)

- ١ -

تيمور (بغضب) :

هاتوه هاتوا حمام البركان ، هاتوا نهم الضباع
لُفوه بالجرذان والأفاعي
هاتوه واستحقوه...

(تنصب خشبة تغطيها أمشاط الحديد . يُمدد عليها مهيار . يربط ، يجلد حتى
يتقطع لحمه . يسمر رأسه بمسامير خُميت في النار . يؤخذ إلى السجن . يبطح على
وجهه . توضع أسطوانة من الحجر على ظهره . تقيد بالحديد يداه ورجلاه) .

- ٢ -

(تيمور ، مهيار ، حراس مسلحون)

تيمور : ألم تكن في السجن؟ كيف جئت؟
أنسلت من شقوقه؟ هدمته؟ أخرجك السجن؟
مهيار : أخرجني سلطان
كالشمس لا يموت ،
كالإنسان

(يُمدد بين خشبتين . يقطع رأسه . يقطع جسده إلى أجزاء صغيرة تُرمى في جبٍ
للأسود . الأسود لا تأكلها ، بل تنحني وتبتعد عنها) .

- ٣ -

(جمهور ، مهيار ، تيمور ، الساحر)

أصوات : شبيهه . كأنه مهيارٌ

يعودُ ، كيف عادَ

يا سيّد الأسرارُ

يا ساحرَ البلادِ كيف عادَ؟

تيمور : شبيهه؟ مهيارٌ . . .

أموتُ ، كلُّ خلجة طاعونُ

أموت . . . كلُّ عُضْوٍ يفرّ من ثيابي ،

يدورُ كالمجنونُ

مهيارُ؟ عادَ ، أين... أين ساحرُ البلادِ

ماذا ترى؟ رأيت؟ كيف؟

الساحر : ... ثوراً

أريد ثوراً أسودَ الجبين والقرنين ،

تحت فكّه السفليّ شامتان ،

لكي أرى الآتي كما يراني...

تيمور : أخرجهُ من قميصه...

الساحر : أمسخهُ!

تيمور : جرادة ، أو نملة عرجاء ، أو حرباء...

الساحر : مَرْلِي بكأس ماء...

(يجيء الثور . ينفث في إحدى أذنيه فتصير اثنتين . ينفث في الثانية فيصير الثور ثورين . يأخذ بذراً يبذره ويحرثه . نبت الزرع وأينع وحُصد . دُرِّي وطحن وعجن وخبز وأكل في ساعة واحدة . أخذ كأس الماء ونفث فيها . أعطاها إلى مهيّار وأمره أن يشربها . يشربها مهيّار كلها) .

الساحر (إلى مهيّار) :

ماذا تُحسّ الآن؟

مهيّار : كلّ جزءٍ

في جسدي يَنبوغُ

(يتسم . صمت .)

واشتدّت الحياةُ في عروقي ...

الساحر (إلى تيمور بيأس) :

كأنّه من طينةٍ

مجهولة الفروع والأصول - أنت نازٌّ

في الأرض ، وهو نازٌّ في الأرض والسماء ،

وهو النَفْسُ المزروعُ

في رثه الحياة ...

تيمور (بغضب الوحش) :

إن سيفي

أحدٌ

إنَّ فتكي

أشدَّ . . . لن ينهضَ بعد الآنْ -

أنا هو الجحيمُ والديان .

(يصنع من النحاس تمثالاً مجوفاً بشكل ثور يحشوه نفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً .

يدخل مهيار في جوفه . يشعل فيه النار . يلتهب وينصهر ويتحول كل شيء إلى رماد .

تهب ريح تملأ الفضاء سحباً أسود ورعوداً وصواعق وأعاصير . يسود ما بين السماء

والأرض ، ويمكث الناس أياماً حائرين لا يميزون بين الليل والنهار . يتحرك الرماد

ويخرج منه مهيار) .

الراوي : وقيل صارت تُمطر السماء

ناراً على المدينة . استُذِلَّتْ

فأنسحقت واحترقت ،

وبقيت زماناً

يخرج من أنقاضها دخانٌ

يشمه الناسُ فيسقطونُ

موتى ،

ومهيارُ دمٍ وماءٍ

والأرضُ مثل وجهه ،

تبدأ ، مثل صوته...

والناسُ يُولدونَ . . .

أربع أغنيات لتيমور

مرآة الشرع

فاجئ
جسد العذراء
جسد الجبلى ...
فاجئ وافتك
لا تترك شيخاً أو طفلاً ...
هذا شرعي .

الغزو

يَخْتَرِقُ الْعُصْفُورُ
وَالْخَيْلُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَرْضُفَهُ
تُقَسِّمُ كَالْأَرْغَفَةِ
بَيْنَ يَدَيِ تَيْمُورَ .

هم

جاؤوا
دخلوا البيت عراً
حفروا
طمروا الأطفال ، وعادوا . . .

السيل

مهيار غنى حنا ، برآ صلى أدان
بارك وجه الجنون ،
ذوب في صوته
جرح العصور ، اشتهى
لصوته أن يكون
سيلاً ، وكالسيل كان...

مرايا وأعلام حول الزمن المكسور

الماضي

كم حملتُ الحجرَ
من تلال سمرقندَ ، صُغْتُ الحجرَ
حريةً ،
أوقِلاه
لعشيقاتي الجوّاري ،
كم نسجتُ البشرَ
خيمةً ،
أو وسادةً ...

الحاضر

زَمَنٌ يَجْرِي ، زَمَنٌ يَهْرَبُ مِثْلَ الْمَاءِ
وَأَنَا أَجْرِي...

كُلُّ نَهَارٍ سَكِينٌ فِي أَحْشَائِي
وَاللَّيْلُ حَرَابٌ

أَشْعُرُ أَنَّ الشَّمْسَ

تَغْرِي

تَرْقُدُ فَوْقَ سَرِيرِي مِثْلَ امْرَأَةٍ ،

حِينَ يُقَالُ : « قَطَعْنَا رَأْسَ » ...

مرآة صلاعية

سنبلة سنبلة
لا تتركوا سنبلة
فإن هذا الحصاد
فردوسنا المستعاد
بلادنا المقبلة

ومزقوا القلوب قبل الصدور
واقتلعوا الجذور
وغيروا هذا التراب الذي
أقلهم ،
وامحوا زماناً روى تاريخهم
وامحوا سماء حنت عليهم...
سنبلة سنبلة
كي ترجع الأرض إلى عهدنا...
سنبلة سنبلة...

الوصاصة

رصاصَةٌ تدورُ
مدهونةٌ بألقِ الحضاره
تثقبُ وجهَ الفجر - كلُّ لحظةٍ
يعاد هذا المشهدُ -
الحُضورُ
يُجدِّدون جرعةَ الحياة ، يَنشطون ، لا سِتاره
لا ظِلٍّ ، لا استراحةً :
المشهدُ التَّاريخُ ،
والمُمثلُ الحضاره .

مرآة السيف

— هل قلتَ إنَّكَ شاعرٌ؟
من أين جئتَ؟ أحسَّ جلدك ناعماً...
سيفٌ تسمعني؟
وهبتك رأسه ،
خذه ، وهاتِ الجلدَ واحذرْ أنْ يمسَّ الجلدُ
أشهى لي وأغلى ...
سيكونُ جلدك لي بساطاً
سيكونُ أجملَ مخملٍ ،

هل قلتَ إنَّكَ شاعرٌ؟

الشاعران

بين الصدى والصوت شاعران
الأول الناطق مثل قمرٍ
مُكسّرٍ،
والآخر الصامت مثل طفلٍ
ينام كل ليلةٍ
بين يدي بركانٍ .

دمشق

دمشق
قافلةُ النجوم في سِجادةِ خضراءُ
ثديان من جمرٍ وبرتقالُ
دمشقُ
ألجسد العاشق في سريرهِ
كالقوس ،
والهلالُ
يَفْتَحُ باسمِ الماءِ
قارورةَ الأيام ، كلَّ يومٍ
يدورُ في مداركِ الليالي
يسقط في بركانك الشَّهيَّ
ذبيحةً . . .
والشَّجر النائم حولِ غرفتي
ووجهي
تُفَاحَةٌ
وحبي

وسادةً ، جزيره . . .

لو أنها تجيء

لو أنها تجيء

دمشق

يا ثمر الليل ويا سريره .

مرآة لملك الحريم

تَقْدَمِي ، من أَنْتِ يا قَبِيلَةَ
لا ذَهَباً حَمَلْتُ ، لا دِمَقْساً
لِلْمَلِكِ الْعَظِيمِ
لا خَيْلَ لا لُبَاناً لا حَجَراً كَرِيمَ
ولا أرى جَدِيلَةَ
لِمَنْ ، لماذا هذه المَسِيرَةُ؟
كوْنِي ، إذن ، من خَدَمِ الأَمِيرِ
أو مِنْ خَدَمِ الأَمِيرِ .

بيروت

1

يَسْكُنُ فِي بَيْرُوتَ
وَالْأَرْضُ فِي عَيْنِهِ أَبْجَدِيَّةُ
وخمسةُ جامعاتُ
وَالصَّخْرُ تَفَاحُ وَأَغْنِيَاتُ .
لَكِنَّهُ يَمُوتُ -
يَمُوتُ فِي تَمَتُّمِهِ
كَأَنَّهُ يَسْكُنُ فِي جَمِيعِهِ
بغَيْرِ أَيَّامٍ وَلَا هَوِيَّةٍ .

2

كَانَتِ الْمَائِدَةُ
عُرْفًا ،
يَتَصَابَحُ فِيهَا الضُّيُوفُ
كَانَ لَحْمُ الْخُرُوفِ
جَبَلًا ، وَالشَّرَابُ

ساحراً حوله يطوفُ
وعلى الشَّرْفَةِ الذهبية في قبة المائه
كانَ وجهُ يبيدُ مع الأوجه البائدهُ -
كانَ وجهُ الكتابِ .

3

عائشةُ مرّت ، فكلُّ ليلٍ
تَختُ ، وكلُّ ناقةٍ مصباحُ
للجسدِ الضَّريرِ أو للزَّمنِ الضَّريرِ
عائشةُ تجتاحُ - لونُ الشهوةِ اجتياحُ
راقصها الأميرُ وهو لابسٌ قُبعةَ الشَّحاذِ
أو راقصها الشَّحاذُ وهو لابسٌ قُبعةَ الأميرِ
سامرها غنى لها حتى ذوى الكلامِ
لفَّ عليها زندَه وغطَّى
سُرَّتَها ، ونامَ ...

مرآة لزيد بن عليا

أستشرفُ المكتوبُ
في صفحة الخلافه
مُرسومة كالقبر تحت راحتي هشام :
رأسك بين النصل والرصاصه
مُهاجرُ
والجسدُ المصلوبُ
يُنثرُ مثل الصوتُ
في نهرٍ ...
- لا ، لن يحول سيفُ
لا ، لن يحول موتُ ...
لي وطنُ في الماء - غير الموتُ
يجهلُ ،
غير الصلب والحريقُ
يجهلُ أن يُقرب المسافه
ما بيننا ،
ويفتح الطريقُ .

واخترق النصلُ جبينَ زيدٍ ،

ونُكّستُ رايّاهُ ...

— ارفعوه

غَطّوه ، خَبّثوه

عن أعين الأعداء

هنا ، هنا ...

لَفّوه بالأصواتِ بالرجوة ،

بالعُشبِ خَبّأوه

في الماء ، في ساقيةٍ خضراء .

وها هم الأعداء

يأتونَ ...

بعدَ لحظةٍ رأوه معلقاً

يُحرقُ فوقَ الماءِ

يُنثرُ فوقَ الماءِ —

الجِسمُ يصَاعَدُ في رمادٍ

مُهاجرٍ كالغيمةِ الخفيفةِ

والرأسُ وَخِي نازٍ

عن زمنِ الغُيوبِ والثَّوَرَةِ والثَّوَارِ

يَقْرؤه السِّيفُ للخليفةِ ...

مرآة رجب يرويا

لو أنني ولدتُ قهرمانً
في القَصْرِ ،
أو مزيّناً لزوجته الخاقانُ
لكننتُ أقواساً على الدُرُوبِ
لكننتُ قواماً على الرؤوسِ
أصنعُ منها النُّقْلَ والندامى
والخمرَ والكؤُوسَ
أصنعُ منها نكهةَ الشُّعوبِ .

مرآة لزوياب

كل شيء يغني كزوياب ،
سيفُ الإمارة
وحذاء الأميرة ، والنقط — عصرُ الأغاني
عربي ،
وتعويذة الجحيم
والصلاة ، ومقصورة الحريم
ودمٌ يسدل الستارة .

مرآة الفقير والسلطان

(- ماذا؟ ألا تخاف؟)

- لا قصبٌ عندي ، ولا خرافُ

ومرّة ، غرّزتُ في مكانٍ

أصابني ، فأنفّخَ المكانُ

وبانَ شِقُّ نَخْرَجَ الدُّخانُ

مِنْ فَمِهِ ، وجاءَ ثعبانٌ كبيرٌ أضفرَ

أخذتهُ ، فَرَكتُهُ

وعندما حدّقتُ في رماده ، تلاشى ...

- وحرّسُ السلطانُ؟

- طارَدني ، فجاءَ فرسانُه

وكتّ في خلوتي أناُم ، فأنْتبهتُ

رأيتُ قُدّامي

نعامةً ، أو ناقةً

نسيّتُ ، لكنني

ركبتُها ،

فأخذتُ تمشي

في السَّقْفِ ، والفرسانُ ينظرونُ
فَبَهِتُوا ، وسقطوا من خوفِهِمْ ، وماتوا ،
وبعدها ، لم يجرؤُ السلطانُ
على دخول بيتي ...)

امراة ورجل

(- رأيتُ أن فارساً
من السماء حاملاً
قارورةً يملؤها تراباً ، قدّمها إليّ -
كان أحمرّاً يسيلُ منه دمك - انقلعتُ
كالعشبة من سريري ...
- اطمئني ،
ألحيرةُ التي ترجُ نفسي تزولُ ،
إنّ ضوءاً يشعُ - كلُّ جوعٍ
جوعي
وكلُّ جُرْحٍ
جرحي ،
وكلُّ موتٍ ...
حُلْمُكَ يَسْتَنْفِرُ في كتابي
حروفه والنارَ والمجامرا
حلمك يُغريني كي أسافرا
في هذه الحُقْفَةِ من تُرابي ...)

مرآة الحجاج

(... ليس له وراءُ

يرفضُ نَدِيَّ أُمِّهِ :

كَانَ اسْمُهُ الْحِجَّاجُ .

وثقبوا فأراً

وثقبوا وراءه

ودهنوا بدمه الحجاج

وذبحوا تَيْساً وَدَهَنُوا بدمه الحجاج

فالتذُّ بالدماءُ

صارت له رضاعةً وأماً .

واستطرد الراوي :

... وصعد المنبرَ في يديه

قوساً ، وفوق وجهه لثامٌ

وقال ، بالسَّهَامِ والقِنَاعِ ، لا بالصَّوْتِ والكَلَامِ :

«أنا ابنُ جَلَاءٍ وطلاغِ الثَّنَايا ...»

... أنا هو السَّوَالُ والنَّبْرَاسُ

أنا هو الفَرَّاسُ -
ويلٌ لمن يكون من فرائسي...

وَزَلَّزِلَ الْمَكَانُ
واهْتَزَّتِ الْبِلَادُ مِثْلَ شَجَرَةٍ
وسَقَطَ الْمَسْجِدُ مِثْلَ ثَمَرَةٍ
وسَقَطَ الزَّمَانُ .

صَوَاةُ الرَّأْسِ

(- سَايَرْتُهُ ، رَصَدْتُهُ
غَلِغَلْتُ فِي جَفْوَنِهِ
أَيَقُظْتُ كُلَّ شَهْوَتِي هَجَمْتُ وَاحْتَرَزْتُهُ ...
وَجِئْتُ .
كَانَتْ زَوْجَتِي نَوَازُ
تَفْتَحُ بَابَ الدَّارِ :
- أَوْحَشْتَنِي ، أَطَلْتَ ، كَيْفَ ؟
- أَبْشِرِي ،
جِئْتُكَ بِالدَّهْرِ ، بِمَالِ الدَّهْرِ
- مِنْ أَيْنَ ، كَيْفَ ، أَيْنَ ؟
- بِرَأْسِهِ ...
- الْحَسِينِ ؟
وَيَلِّكَ ، يَوْمَ الْحَشْرِ
وَيَلِّكَ لَنْ يَجْمَعَنِي طَرِيقٌ أَوْ حَلَمٌ أَوْ نَوْمٌ
إِلَيْكَ ، بَعْدَ الْيَوْمِ ...)
وَهَاجَرْتُ نَوَازُ .

مرآة الشاهد

وحينما استقرتِ الرِّماحُ في حشاشةِ الحسينِ
وازيَّنتُ بجسدِ الحسينِ
وداستِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ
في جسدِ الحسينِ
واستلبتُ وقُسمتِ ملابسُ الحسينِ ،
رأيتُ كلَّ حجرٍ يحنو على الحسينِ
رأيتُ كلَّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينِ
رأيتُ كلَّ نهرٍ
يسير في جنازةِ الحسينِ .

مرآة لمسجد الحسين

ألا ترى الأشجار وهي تمشي
حذاء ،
في سُكْرِ وفي أناة
كي تشهد الصلاة؟
ألا ترى سيفاً بغير غمدٍ
يبكي ،
وسيفاً بلا يدين
يطوف حول مسجد الحسين؟

مرآة الحلم

خُذِيهِ ، هذا حُلُمِي
خِيطِيهِ والبِسيه
غِلَالَةً .

أَنْتِ جَعَلْتِ الْأَمْسَ
يَنَامُ فِي يَدَيَّ
يَطْوِفُ بِي ، يَدُورُ كَالْهَدِيرِ
فِي عَرَبَاتِ الشَّمْسِ
فِي نَوَاسِطِ الطَّيْرِ
كَأَنَّهُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِي .

مرآة التاريخ

(... بَقِيَّةُ الرُّطوبَةِ الأولى

تَجَفَّفَتْ ،

وَانْعَصَرَتْ مِنْ طِينِهَا السَّاعَاتُ ، مَا تَبَقَّى

صَارَ إِلَى مَلُوْحَةٍ

أَوْ رُبَّمَا صَارَ إِلَى مِرَاةٍ .)

وَقَالَ آخَرُونَ :

(... خِلَاصَةُ الزَّرْنِيخِ بَعْدَ مَزْجِهَا الْقَوِيِّ بِالرَّمَادِ

أَوْ عِرْقِ الثَّرَابِ وَالْحِجَارَةِ .)

وَقِيلَ : مِثْلُ حَجَرٍ

يَرْتَشِعُ مِنْهُ الْمَاءُ .

وَقِيلَ : فِيهِ مَاءٌ

تَأْخُذُهُ الشَّمْسُ لَهَا غِذَاءٌ

تَصْنَعُ مِنْ قُتَاتِهِ الْبَخَارَ ، أَوْ تَصْبُهُ كَالْجَمْرِ

فِي حُفْرَةٍ عَظِيمَةٍ كَالذَّهْرِ ،

ثُمَّ يَعُودُ مَطَرًا ...

وَقَالَ آخَرُونَ :

(... دَوَامَةٌ

وهو كَمَنْجَتُونُ
يُغْرِفُ مَاءَ نَهْرٍ
يُصَبُّهُ فِي جَدُولٍ
يُصَبُّ مِنْ جَدِيدٍ
فِي مَاءِ هَذَا النَّهْرِ...)

... ووقفَ الماءُ معي زماناً ،

تخلخلت مراكبي
وغابتِ المنارة
وصارت الأمواج كالبحارة -
هل بلغَ التاريخُ منتهاه؟
هل أوماتَ شمسي إلى سواه؟
أبحرتُ فيه زماناً
رأيتُ ما رأيتُ - كلَّ جوهرٍ
رأيتُ كلَّ طيبٍ ،
رأيتُ خيَزانةً
تمتدُّ مثلَ مركبٍ
يصعدُ من أطرافهِ لهيبُ
والشمسُ والأيامُ
كالسَّمَكِ الطَّافِي -

وانقلب المركبُ ،
صارَ مرجلاً يفورُ ...
وقال آخرون :
(... يسلكُ دربَ الشَّمسِ ،
فحينما تدخلُ في السَّنبلة
وحينما تدخلُ برجَ الحوتِ
أو تكونُ عند القوسِ
تشتدُّ أمواجهُ
وتكثرُ البلبلة .)
وقال آخرون :
(... فيه من المَحَارِ
ما يخافُ أو يحنُّ مثلُ أمِّ
والقصبِ المضيءِ
فيه
الغامضُ الشَّريدُ
واللؤلؤُ القريبُ والبعيدُ
والعنبر المدورُ الأزرقُ ...
وحينما يبلغه الحوتُ
يطفو ، وبعد برهةٍ ، يموتُ
وقبل أن يجرفه التيارُ
أو يغرق

نَشَقُّهُ

ونأخذ العنبر

من جوفه

كقطع الجبال أو أكبر ...

... ومرة ،

غسلته بخل

أطعمته المغنيسيا

وعسل النحل وماء الزاج

وجوهر الزجاج ...)

وقيل : كرسي من الزجاج فيه مركب

ملتصق بالشمس فيه لؤلؤ

أو سرطان تائه كالموج ،

والتاريخ مثل طائر منبسط في جسد الإنسان

يصدح أو يطير أو يعيش

في القبور ...

(... وهو غول

يظهر في الليالي ،

ينام في الطريق أو يحوم

يزيل كل باق

يُتِيهِ كُلُّ سَائِرٍ
وَيَمْلَأُ الْعَامِرَ وَالْخَرَابَ...
هَكَذَا ، يَقُولُ بَطْلِيمُوسُ
وَالْكُوكَبُ الَّذِي يُسَمَّى الْكَلْبُ ،
وَالنَّجُومُ -)

... أَيْتَهَا السَّوَانِحُ اكْتَنَزَتْ -
بَاضَتْ تَمَائِيْلُكَ فِي هَوَائِي
أَجْنَحَةٌ تَطِيرُ فِي ثِيَابِي
هَوَائِفًا سَمِعْتُهَا تَغْنِي
حَاولَتْ أَنْ أَرَاهَا ،
لَكِنِّي عَجِزْتُ .

مرآة الأرض

هذا الذي يَلجُ في سريري
يقتلع النخيل والقباب والأجراسُ
يضربُ وجهَ الأرضِ ،
هذا الدَّمُ الرَّافِضُ ، هذا الرِّفْضُ
تلَهْفُ آخرُ ، واشتعالُ
باسمِ الغدِ الطَّالعِ باسمِ الأرضِ -
مملكةِ التاريخِ ، والحضورِ ، والأعراسِ
تلَهْفُ آخرُ ، واشتعالُ
بالزَّمنِ الفاتحِ راحتيه
مثلي ، بالأرضِ ونورِ الأرضِ .

الممثل المستور

قمر الغوصة

يَدْبُ في عروقي
صَحْوٌ ، وفي رمادي ،
أقومُ والعالمُ حول وجهي بيتٌ ، وكلُّ
زَهْرَةٍ قصيدة .

يَرْتَجِفُ التَّارِيخُ كالطَّريْدَةِ
يَتَتَبَعُ التَّارِيخُ

— أيَّ نارٍ
أطفأت ، أيَّ نارٍ
أشعلت يا مهيار؟

هبطتُ في منارةٍ
حللتُ في قيثارةٍ
وكانت الأوتارُ مثلَ جريحٍ ينزُّ ، والحياةُ
سَجْدَةً في القصر ، والتَّارِيخُ مثلَ خرقَةٍ يَجْرِفُهَا الْفُرَاتُ
وكلَّ ما للأَرْضِ والسَّمَاءِ من طيورٍ
فاكهةٌ تنضجُ — واختلطنا
وجهي وجهُ الشَّارِعِ ، الفرسانُ والحُصُونُ

والزَّمنُ الملقوفُ حولَ النَّاسِ كالوشيعه
 والجامعُ الواقفُ كي تُسافرِ الطَّبيعَه
 أو يرجعُ الأذانُ .
 وقائلُ يقولُ :
 قرأتُ أفلاطونُ
 عرفتُ ما يكونُ
 سيدهُ القصورِ قهرمانه
 والقمرُ الطالعِ قهرمانُ
 يسكنُ في حانوتُ
 يولّدُ ، حولَ فخذِها ، يموتُ ...
 وابتدأَ الطوفانُ
 واختلطَ المصبُّ - قاسيونُ
 نهرُ
 وتحتَ بردي طريقُ
 لراهبٍ كان اسمه بحيره
 وللکلامِ شجرٌ ، وللخطى حنينُ
 والله في البيوتِ
 يمجُّ كالبحيره .
 وابتدأَ التاريخُ ، وابتدأنا -
 ... - يا أيها الممثلُ المستورُ يا صوفيَّنا الكبير
 ها نحنُ ذاهبونُ

ويعلمُ الله متى نجيءُ
 نعرفُ أنَّ الليلَ سوف يبقى
 نعرفُ أنَّ الشمسَ سوف تبقى
 لكننا نجهلُ ما يكونُ
 من أمر قاسيونَ -
 هذا النبيُّ الأصغرُ المضبيءُ
 وما يكونُ المشهدُ الأخيرُ
 يا قمر الغوطةِ ، يا صوفيَّنا الكبيرُ .
 أصرخُ من دهليزُ
 في قلعةِ الرَّمادِ - صرتُ جرحاً
 في جَسَدِ القلعةِ ، صرتُ غيماً
 يعانِقُ الشَّرْقَةَ ، والإفريزُ ،
 أصرخُ من دهليزُ :
 أحتقرُ الأرضَ التي تكونُ
 لؤلؤةً في جوف بلوره
 أحلمُ بالحدود بالبلدانُ
 مفتوحةً كالبحر ، منذورةً
 للحبِّ ،
 لونُ الحاجزِ العُبودَةِ
 والبَرَصُ الشَّمسيُّ ، والسَّكَنَةُ ، والبرودةُ
 في جسد الإنسان .

الغائب قبل الوقت

أسألتني؟ مُتْ أَوَّلًا ، أَوْ فَاشْتَعِلْ كَالجُرْحِ
واهبطُ في رمادي
واسألُ . . . أتسألُ عن بلادي؟
جسدي بلادي .

من أنت؟ هل واكبتَ هَرُولَةَ الكواكبِ
وانحدرتَ مع السيولِ
طلعتَ في شفتَيِ جدارِ
زَهْرَةٍ؟

أَلْبَسْتَ أَجْنَحَةَ الْفَرَّاشَةِ ، غَبِثَ فِي أَحْشَاءِ صَخْرَةٍ
وَبَسَطْتَ رَا حَتَكَ ، افْتَرَشْتَ الشَّمْسَ ،
صَبَرْتَ هَسِيسَ غَابَةٍ
أَسْمَعْتَ أَجْرَاسَ الْجِبَالِ تَرْنُ فِي عُنُقِ السَّحَابَةِ؟
مَنْ أَنْتَ؟ آ ، هاء... ذاتَ مَرَّةٍ
كُنَّا ، مَشِينَا ذاتَ مَرَّةٍ :

أَنْتَ عَبْدُ الطَّرِيقِ
خِرْقَةٌ فِي الطَّرِيقِ .

أنتَ جَبَانَةٌ وعاده ...

وأنا الفُتَح والريّاده ...

وتحت أهدا بي مَدَى أحصنة

تَشْبِجُ ، والأشباحُ والأمكنة

قوافِلُ للخبز والبقول

والزَّهْرُ الطَّالِعُ والأنهارُ والسَّهولُ

أحصنة تشبجُ ، والصَّهيلُ

جريحُ ، وللجبالِ وسُوساتُ ...

نسجتُ من معارجي

أجنحةً للصَّبرِ

واحتضنتُ الينبوعَ والجُمَانَةَ البيضاءَ والمرايا :

يا شَجَرِ الأيامِ أيَّ شمسٍ

لبستَ في مداري

يا شَجَرِ الدَّوَارِ ، -

وقلتُ - هذي نارُنا ، وهذا

سُرَادِقُ الأخوةِ

والزَّمنُ الأعجفُ قرنُ نُورٍ يَموتُ

والنبوءةُ ، -

يا فقراءَ العالمِ النبوءةِ

فقرٌ ،

وكلُّ فقيرٍ

أولهُ الفضاءُ -

... - «رافقيه

يا نجمة السؤال ، علميه الإعصار والهبوط

في الأعلى ...»

وليس لي إلا دمي وجهي

وليس لي حنين

إلا لنار الحلم ...

«- انجحرت؟

من أنت؟

أ، ها ... ذات مرة ...

مُت أولاً ...»

وُلدتُ في عباءة النبي

وجهي نارُ زوجة

تعلمُ : «كيف تسقط السيوف

كيف يرجع الجندي ...»

وجهي مثل كوكب

يحضن كل جامد وميت وحي .

أحلم باسم العشب

حين يصير الخبز كالجحيم

حين يصير الورق الميت في كتابه القديم

مدينة للرعب

أحلمُ باسمِ الطينِ
كي أمحو الركامَ
كي أغمرَ الزمانَ أستعينُ
بالتَّسمِ الأولِ ، أستعيدُ
مزماريَ الأولَ
كي أغَيِّرَ الكلامَ .
والحلمُ اللّونُ وقوسُ اللّونِ
بعدَ رمادِ الكونِ
يُوقِظُ هذا الزَّمنَ النَّائمَ في بُحيرةِ الجليدِ
أخرسَ كالسماءِ
يُفرِّغه كجُرْنٍ
يُسلمه للنَّارِ
للزَّمنِ الطَّالعِ من خميرةِ الأجيالِ
في قدَمِ الأطفالِ -
الزَّارعينَ بذرةَ البَكَارِ
الحاملينَ الضَّوءَ والشرارةَ .
غَسَلْتُ راحتيَّ من حياتي -
من هذه الفراشةِ
صالحتُ بينَ الدَّهرِ والهشاشةِ
كي أهجرَ الأيامَ ، كي أستقبلَ الأيامَ
أعجنها كالخبزِ

أغسلها من صدأ التاريخ والكلام
 أذوب في نسيجها حرارة أو رمز ،
 ففي دمي دهر من السبايا
 دهر من الخطايا
 يجرفه موتي ، وحول وجهي
 حصارة تموت .
 وها أنا كالنهر
 أجهل كيف أمسك الضفاف
 أجهل غير النبع والمصب والمطاف
 حيث تجيء الشمس
 كالعشبة الساحرة السوداء
 حيث تشب الشمس
 كالفرس الحمراء
 حيث تصير الشمس
 عرافة الشقاء والسعادة
 عرافة أو أسداً ، أو نسر
 ينام كالقلاده
 فوق جبين الدهر .

مرايا الممثل المستور

مرآة للنوم

البَطْلُ السَّاهِرُ مِثْلَ مَوْجَةٍ
يَنَامُ
وَأَرْضُنَا صَبِيَّةٌ
كَانَتْ بِلَا رَأْسٍ وَلَا وَسَادَةٍ تَنَامُ
وَالْفِكْرَةُ الْفِرَاسَةُ الْحُمْرَاءُ
كَانَتْ جِثَّةً تَنَامُ
يَا زَمَدَ الْأَعْضَاءِ يَا مَسَالِكَ الرُّطُوبَةِ
فِي جَسَدِي - فِي جَسَدِ الْعُرُوبَةِ
مَنْ أَيْنَ ، كَيْفَ أَوْقِظُ النَّيَامَ؟

مرآة للسؤال

سألتُ ، قيلَ : الغُصْنُ المغطى بالنَّار ، عصفورٌ .

وقيلَ : وجهي

مَوْجٌ ، ووجهُ العالمِ المرآيا

وحسرةُ البحَّار ، والمنارةُ

وجثتُ ، والعالمُ في طريقي

حَبْرٌ ، وكلُّ خَلْجةٍ عبارهِ

ولم أكن أعرف أن بيني وبينه جسراً من الأخوة

من خطوات النار والنبوة

ولم أكن أعرف أن وجهي

سَفينةٌ تبحرُ في شراره .

مرآة لفارس الرفض

1

حُلْمٌ بثلاثة أعمار
يتحطم ، والجدرانُ رسومٌ
تقطر حبراً ،
والأشجارُ . . .

2

كلُّ ينباع القرى عبأت
جرارها ،
وانكسرت فوقه .

3

كان وراء صخرةٍ
مُدَّثراً بالرفضِ
مظلاً بشمس قاسيونَ
يغوصُ ، محمولاً على سحابة ،

إلى حنايا الأرض
فارسٌ هذا الزمنِ المعجُونُ
بالشمس والكأبه .

مِوَاةٌ لِلْقُرُونِ الْعَشْرِ

تَابُوتٌ يَلْبَسُ وَجْهَ الطِّفْلِ
كِتَابٌ
يُكْتَبُ فِي أَحْشَاءِ غُرَابٍ
وَحَشٌّ يَتَقَدَّمُ ، يَحْمِلُ زَهْرَةً
صَخْرَةً
تَتَنَفَّسُ فِي رِثْتِي مَجْنُونٌ :
هُوَذَا
هُوَذَا الْقُرُونُ الْعَشْرُونَ .

مرآة الغيوم

أجنحةً ،
لكنّها من شمع ،
والمَطَرُ الهاطِلُ ليس مطراً
بل سُقْنٌ لِلدَّمَغِ .

مرآة لمعاوية

شَعْرَةٌ تَقْرَأُ الرِّيحَ وَتَبْنِي
مَلَكُهَا فِي تَفْجَرِ الْبِرْكَانِ
فِي زَفِيرِ الْأَمْوَاجِ
وَالزَّمَنِ الْهَائِمِ بَيْنَ الْإِعْصَارِ وَالرَّيَّانِ .

مِرَاة لخالدة

1 - الموجة

خالده

شَجَنُ ثُورِقُ الغصونُ

حولَه ،

خالده

سَفَرٌ يُغْرِقُ النَّهَارُ

في مياه العيونُ

موجةٌ عَلَّمَتْنِي

أَنَّ ضَوْءَ النُّجُومِ

أَنَّ وَجْهَ الغيومِ

وَأَنِّيْنَ العُبَّارُ

زهرةٌ واحده ...

2 - تحت الماء

نمنا في ثوبٍ منسوجٍ

من عُنَابِ الليل - اللَّيْلُ هَبَاءٌ ، والأَحْشَاءُ

تهليلُ دم ، إيقاعُ صنوجٍ
وبريقُ شمسٍ تحت الماء .
والليلةُ حبيلى ...

3 - الضياع

مرّةً ، ضعتُ في يديكِ ، وكانتُ
شفتي قلعةً تحنُّ إلى فتحٍ غريبٍ
وتعشقُ التطويقا .

وتقدّمت ،

كانَ خصركِ سلطاناً ،
وكانت يداكِ فاتحةَ الجيش ،
وعيناكِ مخبأً وصديقاً
والتحمّنا ، ضعنا معاً ، ودخلنا
غابة النّار - أرسَمَ الخُطوةَ الأولى إليها
وتفتحينَ الطريقا ...

4 - تعب

التعبُ القديمُ حول البيت
صارَ له جِرازٌ
وشُرْفَةٌ

ينام في أكوأخها ، يغيبُ ، كم قلّقنا

عليه في أسفاره ، ركضنا
نطوفُ حول البيتِ
نسأل كلَّ عشبةٍ ، نُصلِّي
نلمحه ، نصيح : كيف ، ماذا ، وأين؟ كلُّ ربحٍ
أتتُ
وكلَّ غصنٍ
أتى
وما أتيتُ ...

5 - الموت

بعد هذي الثواني يجيءُ الزَّمانُ الصَّغيرُ
وتجيءُ الخطى والدروب المعادة
بعدها تهرم البيوتُ
بعدها يُطفئُ السريرُ
نار أيامه ويموتُ
وتموتُ الوسادة .

مرآة لوضاح اليمن

(أصحوت عن أم البنين ...؟)
وضاح اليمن

وَصَّاحُ ، هل صحوت ، هل رأيتَ
حيث انتهى الماضي وما انتهت ،
عباءتي ، ورأسي المسروق؟
فحصتُ كلَّ دبرٍ
نقبتُ كلَّ بيتٍ
فتَّشتُ كلَّ دنٍّ
سألتُ قهرمانةً للجنِّ ...
فأمس ، والمفتاحُ
يفتح بابَ بيتها
أنزلت في صندوقٍ
مثلك يا وضاحُ
وأنزل الصندوقَ
في البئرِ ...

كَانَ صَوْتُ

يَقُولُ: «كُلَّ أَرْضٍ

بِثَرٍّ؟

وَكُلَّ حَبٍّ

يَعِيشُ - كُلَّ حَبٍّ يَمُوتُ -

فِي صَنْدُوقٍ» .

سَمِعْتَنِي؟ صَحْرَتِي؟

كَبُوتٌ مِنْ جَدِيدٍ

وَنَمْتُ؟ كَيْفَ نَمْتُ؟

... وَالتَّهَرُّ لَا يَنَامُ

وَقَاسِيُونَ حَارِسٌ كَالدَّهْرِ لَا يَنَامُ

وَالْعُشْبُ لَا يَنَامُ

وَالْخَبِرُ لَيْسَ نَوْمًا

وَالْحَبُّ لَيْسَ نَوْمًا ...

مرآة لبيروت (١٩٦٧)

1

الشارعُ امرأة
تقرأ ، حين تحزنُ ، الفاتحة
أو ترسمُ الصليبَ
والليلُ ، تحتَ نهدها ،
محدّبٌ غريبٌ
عبّأ في كيسه
كِلابه الفضية النائحة
والأنجمَ المطفأه
والشارعُ امرأة
تعضُّ كلَّ عابرٍ
والجملُ النائمُ حولَ صدرها
يغني
للنّفط (كلَّ عابرٍ يغني)
والشارعُ امرأة
تسقط في فراشها

الأيام والجردانُ
ويسقط الإنسان .

2

الوردُ مرسومٌ على الأحذية
والأرض والسَّماءُ
صندوقُ ألوانٍ -
وفي الأقبية
يرتسم التاريخ كالتابوتُ
وفي أنينِ نجمةٍ أو أمةٍ تموتُ
يضطجع الرجالُ والأطفال والنساءُ
بلا سراويلَ
ولا أعطيه ...

3

جبانةً ،
وصرةٌ في الحزامِ
من ذهبٍ ،
وامرأةٌ خشخاشة تنامُ
في حضنها أميرٌ أو خنجرٌ
ينام .

مرآة الزلاجة السوداء

— هل قلت : وجهي مركبٌ ، جسدي جزيرة
والماء أعضاء تحنُّ؟
— وقلت : صدرك موجةٌ
ليلٌ يهرولُ تحت نهدي ...
والشمسُ محبسي القديمُ الشمسُ محبسي الجديدُ
والموتُ أغنيةٌ وعيدٌ؟
أسمعتني؟ أنا غير هذا الليل ، غير سريره اللزج المضاءِ

جسدي غطاءٌ —
نسجُ حبكتُ خيوطهُ
بدمي وتهتُ ، وكان في جسدي متاهي
أعطيتُ للورق الرياحَ ، تركتُ أهداً بي ورائي
حاجيتُ ، من غضبٍ ، إلهي
وسكنتُ إنجيل الرضاعةِ
كي أكشفَ الحجر المسافر في ردائي ...
أعرفتني؟ جسدي غطائي

والموتُ أغنيتي وقصرُ دفاتري
والخبرُ لي قبرٌ وقاعه
كُرَّةٌ تقاسمها اليبابُ وشيخَتُ فيها السماءُ
زلاجةٌ سوداءُ يسحبها التفجُّعُ والبكاءُ .
أتبعَتني؟ جسدي سمائي

أشرعتُ أزوقةَ المدى
ورسمت أهدابي ورائي
طُرُقاً إلى وثنٍ عتيق
أتبعَتني؟
جسدي طريقي .

مرآة لجسد عاشق

الجَسَدُ العاشقُ ، كلُّ يوم ،
يذوبُ في الهواءِ - صارَ عِطْراً
يدورُ ، يَسْتَحْضِرُ كلَّ عِطْرِ
يأتي إلى سريرِهِ
يُغَطِّي
أحلامه ، ينحلُّ كالبنخورِ
يعود كالبنخورِ .
أشعارُهُ الأولى عذابُ طفلٍ
يضيقُ في دوامةِ الجُسُورِ
يجعلُ أن يظلَّ في مياهها ، ويجعلُ العبورَ .

مرآة لجثة الخريف

هل رأيت امرأة
حَمَلَتْ جِثَّةَ الخريف؟
مزجت وجهها بالرَّصيفِ
نَسَجَتْ من خيوطِ المطرِ
ثوبها
والْبَشْرَ
في رماد الرّصيفِ
جمرةً مُطفأةً .

مرآة لأبي العلاء

أذكرُ أني زرتُ في المعرَّة
عينيكَ ، أصغيتُ إلى خُطَاكَ
أذكرُ أنَّ القبرَ كان يمشي مقلِّداً خُطَاكَ
وكان حول القبرِ
صوتُكَ ، مثلَ رَجَّةٍ ، ينامُ
في جسدِ الأيامِ أو في جسدِ الكلامِ
على سريرِ الشَّعرِ

ولم يكن هناك والداكَ
ولم تَكُ المعرَّةُ ...

مرآة للعيت والزمن

غَنَيْتُ ، قلتُ لأيامي : رفعتُ دمي
مدائنًا تَلدُ الإيقاعَ قلتُ لها
مددتهُ عُصْنًا يَشْتاقُ ، يحملني
في نُسْغِهِ ، ويضيءُ الموتَ والكفنا
غَنَيْتُ ، قلتُ لأيامي : أَبَحْتُ دمي
(وربَّ جوهر علمٍ لو أَبَحْتُ به
لَقِيلَ لي : أنتَ ممن يعبد الوثنا)
غَنَيْتُ ، قلتُ ... فصلتُ الحُلُمَ عن هُدُبِ
يُخِيطُهُ ، ومزجتُ العينَ والزُّمنا .

مرآة لأورفيوس

قيثارك الحزين ، أورفيوس
يعجز أن يغيّر الحمير
يجعل أن يصنع للمحبية الأسيرة
في قفص الموتى سرير حبّ يحنّ أو زندن أو صغيرة
يموت من يموت ، أورفيوس

والزمن الرّاكض في عينيك
يكبو ، وفي يديك
ينكسر القيثار .

المحك الآن على الضفاف
رأساً ، وكل زهرة غناء
والماء مثل صوت ،
أسمعك الآن أراك ظلاً
يفرّ من مداره ،
ويبدأ الطواف . . .

مرآة الطواف

بَعْدُ نَارِ الطَّوْافِ ، بَعْدَ رَحِيقِ الْجَرْحِ وَالْحَلَمِ ،
فِي سِرِيرِ الْقَطَافِ ،
سَطَعَتْ شَهْوَةُ الْعُلُوِّ ، تَسْلَقْتُ حَنِينِي وَنَارَهُ ، وَرَحَلْنَا
عَنْ بِلَادِ نَزَاةٍ طَحْلِيَّةٍ
فِي بَسَاطَةِ الْخَلِيقَةِ الشَّفَافِ .

وَأَنَا الْيَوْمَ ، نَكْهَةٌ كَوَكْبِيَّةٌ
أَتَمْرَأَى ، وَأَصْهَرُ الدُّهْرَ مِرَاةً أَنْخَطَافٍ لُوجْهِي الْعِرَافِ
لِلنَّهَارِ الْمَسْنُونِ كَالْقَلْبِ ، لِلْفَتْحِ ،
لِسُخْرِ الْأَبْعَادِ وَالْأَطْرَافِ .

وجه البحر

كيمياء النرجس

ألمرايا تُصالح بين الظهيرة والليل ،
خلف المرايا
جَسَدٌ يفتح الطريقُ
لأقاليمه الجديدة
في ركامِ العصورِ
ماحياً نجمة الطريقِ
بين إيقاعه والقصيدِ
عابراً آخر الجسورِ

... وقتلتُ المرايا
ومزجتُ سراويلها النرجسية
بالشموسِ ، ابتكرتُ المرايا
هاجساً يحضنُ الشمسَ وأبعادها الكوكبية .

صنّين

صنّين
يقرأ في عُرفته العارية
لليل ، للأشجار ، للساهرين
أحزانهُ العاليه .

ياسمينه

مُحمَّدٌ سافرَ في رَغيفٍ
ولم يَعدْ .
وسارَةٌ تهبطُ في مغاره
تسألُ عن صديقتها الشَّقَوَى والحجاره
تدوبُ في مِنديلٍ
وأحمدٌ يغني
أغنيّة المهاجر ، الضَّائع في بلادٍ
تأكلُ حتّى جثّة القتيلِ
وصالحٌ يدورُ في سحابة
توصِلُهُ رياحُها الأَمِينَة
إلى ذُرَى حَدِيقَةٍ
لا جثّة فيها ولا ذبابة -
وكنْتُ أَسْتَقِظُ في قَصِيدَتِي
في شِعْبِي الطِّفْلِ ،
كِياسمِينَه .

القشرة والأيام

قشرة . غابت المدينة ، رملٌ حول رأسي . يداي ، خاصرتي ..
رمحان ، والأرضُ فوهةً .
- قشركَ الشمسُ ، واجتأح وجهك الإعصارُ
ونخبا البرق : هذه جثة العالم ، هذا ضريحها السيارُ

ويدي قبضةٌ من الأرض لا تحمل غير الأكمام والأحلام
غسلتها عيناى ، لا ورقُ التاريخ فيها ولا دروبُ الكلام
هي بيتي ، وجسري الأخضرُ الطالعُ بين الأيامِ والأيامِ .

القصيدة

أسمعُ صوتَ الزَّمنِ : القصيدةُ
يَدُّ هنا هنالك ، القصيدةُ
عينانِ تسألانِ –
هل أغلقَ النُّسرينَ بابَ كوخهِ
هل فتحَ الإنسانُ
بوابةً جديدهُ؟

يَدُّ هنا هناك ، والمسافةُ
تنوسُ بينَ الطُّفْلِ والصِّبِيِّ
لكي تجيءَ النُّجْمَةُ الخَفِيَّةُ
وترجعَ الدُّنيا إلى الشَّفَافَةِ .

الأخبار

1

سقطتُ حجّره
فتفتّح شيءٌ في الجدرانُ
صار البُعدُ أحنَّ وأشهى ...
سقطتُ حجّره
فتغيّر شيءٌ في الإنسان .

2

من زمانٍ عشقتُ الحجّرَ
وانجبلنا معاً وافترقنا ،
من زمانٍ رأيتُ الحجّرَ
سُرّةً ، والمرايا
موعداً ، والتقينا
وانجرّحنا ، ونمنا وقمنا
وافترقنا ، وعدنا

وأنا اليوم أنأى وأنفذ ممّا تقول المرأيا
فأنا أوّل الشّطّايا ، أنا آخر الشّطّايا ...

3

حَجَرٌ يحمي نهد الحبلى
حَجَرٌ يَسْكُرُ
يترنّج في أهداب الشاعر
ويصير يمامة
ترقد في أهداب الشاعر
حَجَرٌ يَسْهَرُ
ويصير ستائر
تتدلّى حول جبين الشاعر
ويصير غمامه ...

4

دُليّه يا غمامه
يجهل أن يسير يا غمامه
في لَوْبِ الظلام
وحينما يخرج صوب النور
والجهة الخفيّه
في وطن الكلام

أبرأ من براءة العصفور
ترميه بندقية .

دلّيه يا غمامه
خُذيه واغسله
من ليل قاتليه
بالله يا غمامه .

الرغيف

عادَ الرَغِيفُ إلى خميرته

يُهاجرُ في قصيده

مثلي ،

سرّينا حافيين ،

— أكلت؟

— لا .

— ودّعت؟

— لا .

— عاندت صوتك ، وهو يفتح جرحه الملكي ، يصرخ؟

— لا .

سرّينا

في قاع أغنية ، رأينا

سُفْن الحروفِ الجارياتِ — نقلتُ عن وجهي حُرُوفي

ولبستُ قُبْعَةَ الخريفِ

كي أفهمَ القبرَ المسافرَ ...

وانحنينا

وتنهّد الحَوْرُ الحزِينُ يَقولُ ، أسمعْه يَقولُ
أنا والرَّغيفُ علامتانِ وكلُّ أغْنِيَةِ رَسولُ
والماءُ جَمْعُمةٌ بَعِيدَةٌ .
أنا والرَّغيفُ دَمٌ - سَرِينَا
بَكَتِ الشَّوَارِعُ وانْحَنَتْ
رُكَبُ المَآذِنِ ،
وانْحَنَيْنَا . . .

الشهيد

حين رأيتُ اللَّيْلَ في جفونهِ الملتهيه
ولم أجد في وجههِ نخيلاً
ولم أجد نجوماً ،
عصفتُ حولَ رأسه
كالريح - وانكسرتُ مثلَ قصبةٍ .

وجه البحر

أسمعُ في مهبازٍ
قصيدةً
تَعرِفُ أن تجرحَ ليلَ القَبْرِ
بالشَّمْسِ ، أن تَجِيءَ
في قَدَمِ الشَّمْسِ وَوجهَ البَحْرِ ...

الموت

حين رأيتُ الموتَ في طريقي
رأيتُ أفكاري
رأيتُ وجهي
قاطرةً تمتدُّ كالضبابِ
وكنْتُ مستجيراً
بالبرقِ ، مرسوماً على الترابِ .

حوار

لا تَقُلْ كان حَبِي
خاتماً أو سِوَا
إنَّ حَبِي حِصَارُ
إنَّه الجامحونُ
يُبَحرون إلى موتهم ، يَبْحَثونُ .
لا تَقُلْ كان حَبِي
قمرأً ،
إنَّه شَرَارُ .

الدم النافر

أحلمُ -
لَنْ يكونَ هذا الصوتُ
صوتي ،
أنتَ الجَنَّةُ الطَّريحةُ
أنا الدَّمُ النَّافرُ من حَضارَةٍ ذبيحَةٍ
يُشعلُ نارَ المَوْتِ
يُطفئُ نارَ المَوْتِ .

الوردة

خُذْ وَرْدَةً مُدَّهَا وَسَادَةً —

بَعْدَ حَيْنٍ

تَصْهَرُكَ الْمَهْزَلَةُ

فِي حَمَاءٍ، فِي طِينٍ

تَضْمَكُ الْقَنْبَلَةُ

لِمَلِكِهَا،

بَعْدَ حَيْنٍ

خُذْ وَرْدَةً سَمَّهَا

أُغْنِيَّةً،

وَعَنٍّ لِلْعَالَمِينَ .

العصفور

أصغيتُ :
عصفورٌ على صنَّينِ
يَضجُ كي تسيطر السَّكينَةُ
كي يُصبح الغناءُ
كشفرةِ السَّكينِ
يجرحُ بالبحَّةِ والبُكاءِ
برودةَ المدينة .

المئذنة

بكتِ المئذنةُ
حينَ جاءَ الغريبُ - اشتراها
وبنى فوقها مدخنه .

الحلم

غَبَتَ ، اختَفَيْتَ ؟ عَرَفْتُ أَنَّكَ سَائِحٌ
شَرَّراً وَلَوْلُؤَةٌ وَمَوْجٌ غَوَايَةٌ
تَمْضِي تَعُودُ مَعَ الْفُصُولِ
وَرَأَيْتُ نَارَكَ فِي الْحَقُولِ
عَيْنَاكَ أَجْنَحَةٌ وَوَجْهَكَ طَالِعٌ
كَالْأَفْقِ ، يَكْتَنِزُ الشَّمْسُوسَ ، وَيَغْسِلُ الْأَرْضَ الْكَثِيبَةَ
غَبَتَ ، اختَفَيْتَ ؟ رَأَيْتُ وَجْهَكَ فِي الْحَقُولِ
مَاءٌ يَسَافِرُ فِي الْجُذُورِ إِلَى مَدَائِنِهِ الْغَرِيبَةِ
فِي الْعُشْبِ ، فِي تَهَرِّ الْفُصُولِ .

الموج

مَوْجٌ رَفَعْتُ عَلَى أَدْرَاجِهِ جُزُرِي
وَرَحْتُ أَبْدَأُ تَارِيخِي -
أَفْتَتُهُ
أَلَمَهُ
وَأَنْقِيَهُ ، وَفِي لَغْتِي
مَسَافَةُ الْمَوْتِ تُخَيِّنِي ، وَفِي وَرَقِي
مَسَافَةُ الْجَرَحِ ،
مَوْجٌ أَمِرُ الصُّوْرِ
مَوْجٌ يُوَاخِي طَرِيقَ الشَّمْسِ ، يَفْتَحُ فِي صَدْرِي مَحْطَاتِهِ ،
مَوْجٌ يَعْلَمُنِي
أَنَّ الْأَقَاصِي مَدَارُ الْحَلَمِ وَالسَّفَرِ .

المدينة

نمتُ مع المدينة
في أول الغصونِ في بداية الجراحِ
كانت على سريري
أقلقُ من سفينةٍ
في اللجِّ . واللقاحِ
ينخضها ، يفتحُ كلَّ عِرْقٍ ...
واستيقظتُ ، كانَ السريرُ نَهراً
للحبِّ ،
واللقاحِ
تاريخ عاشقينِ
وكان نهداها مدينتينِ .

نبوءة

للوطن المحفور في حياتنا كالقبر
للوطن المنحدر المقتول
تجيء من سباتنا الألفي ، من تاريخنا المشلول
شمس بلا عبادة
تقتل شيخ الرمل والجراة
والزمن النابت في سهوبه
اليابس في سهوبه
كالفطر
شمس تحب الفتك والإبادة
تطلع من وراء هذا الجسر ...

الغرب والشرق

كان شيءٌ يمتدُّ في نفق التاريخ
شيءٌ مزينٌ ملغومٌ
حاملاً طفله من النقط مسموماً
يغنيه تاجرٌ مسمومٌ
كان شرقٌ كالطفل يسأل ،
يستصرخُ
والغربُ شيخه المعصومُ

بُذلت هذه الخريطةُ
فالكونُ حريقٌ
والشرقُ والغربُ قبرٌ
واحدٌ
من رماده ملمومٌ ...

سنبلة

وقفت سنبلة
بين وجه الشريد وأيامه ، وقفت سنبلة
وأشارت -
رأيتُ التَّهَارَ
جرساً يفتح الشبابيكَ والمدنَ المقفلة .

وقفت سنبلة
في مدار الينابيع في شهوة العُبارِ
ورأيتُ العصافير تبني ، وكان المطرُ
سُفناً تجرف الجليدَ
في طريق البراعم والعشب ، كان الشجر
سُفناً تحمل المدائن أو تأخذ القمرَ
في مهبِّ الفضاء الجديد .

ساحر

قبلُ أو بعد ،
 يولد الكون مربوطاً بقرني غزالةٍ مسحورةٍ
 راسماً ظلّه على الأشجارِ :
 عُصْنُ صورةٍ له
 عُصْنُ يزهر بين المسمارِ والمسمارِ
 عُصْنُ عاشقٍ حنانَ النارِ -
 أنا تاريخ ذلك العُصْن السائح
 في غابة الرّؤى والمجاعة
 سار وجهي في قبة الموت
 واسترجع سحراً يُضيئه ، وأضاعه
 فدعوتُ الجَمْرَ الصديق وبخرنا
 مداه ، وموجه ، وشراعه
 وحملتُ العشب الرّضيع كأهدابي
 وسافرتُ في حنين الرّضاعة
 في رياح غريبةٍ منذوره
 لدمي جارحاً ،
 لِحَبِّي مربوطاً بقرني غزالةٍ مسحورة .

دمشق

أومأت -
 جئتُ إليكِ حنجرَةً يتيمة
 أقتاتُ ، أنسجُ صوتها الشفقيّ من لُغةٍ رجيمة
 تتبطنُ الدنيا وتخلعُ بابَ حكمتها القديمة
 وأتيتُ ، لي نجمٌ ولي نارٌ كليمة :
 يا نجمٌ ، رُدّ لي المجوسَ
 وأنتِ يا نارُ استبيحي
 فالكونُ من ورقٍ وريح
 ودمشقُ سرّةُ ياسمينٍ
 حُبلى ،
 تمدُّ أريجها
 سقفاً
 وتنتظرُ الجنينَ .

الاسماء

سأسمي التحولَ ربَّانَ أيامكِ الجديدة
يا بلادَ الخليفةِ والتَّابعينَ
وأسمي
وجهكِ المغلوقَ الدِّفينِ
كوكباً ، والقَصيدةَ
هالةَ الفارسِ الغريبِ
حولَ أيامكِ الجديدة .

الولوة

كيف أمشي نحو شعبي ، نحو نفسي
كيف أمضي نحو تهامي وصوتي ، كيف أصعد؟
لست إلا نهرأ
حاضناً لؤلؤة الشعر
والأ
حُلماً -
أني ضوء
سائح في جسد الليل ،
وأني
جامح احتضن الأرض كأنثى
وأنا
موقظاً حبي فيها
لهباً يفتح ،
يستنزله فيها
آية ،
أني كتاب

وأعضائي كلام .

كيف أمشي نحو نفسي ، نحو شعبي
ودمي نازّ وتاريخي ركام؟
أسندوا صدري -
في صدري حريق
ومسافات
وأجسادُ عصورٍ تتجرجرُ
والتواريخُ مرايا
والحضاراتُ مرايا
تتكسر .
لا ، دَعُونِي :
إنني أسمع أصواتاً تغني في رمادي
إنني ألمحها تمشي كأطفال بلادي .

كتاب المطابقات والأوائل

(1979)

الكتابة

ألفضاء دم واجتياح ، -
جعلت الكتابة مَهْوًى :

كلماتي تدلّت
جسدي يتدلّى
ورأسي يذنو

بحث

/... طائرٌ

باسطُ جناحيه ، - هل يخشى

سقوطَ السماء؟ أم أنْ لـ

الريِّح كتاباً في ريشه؟ الـ

عُنُقُ استمسك بالآفقي

والجناح كلامٌ

سابعٌ في متاهةٍ ... /

الشعراء

لا مكانَ لهم ، - يُذَفَتُونَ
جسد الأرضِ ، يصنعونُ
للفضاءِ مفاتيحَهُ ، -

لم يُقيموا
نَسَباً أو بيوتاً
لأساطيرهم ، -

كتبوها
مثلما تكتب الشمسُ تاريخَهَا ، -

لا مكانُ ...

الاسم

سَمِينَا
شَجَرُ الزَّيْتُونِ عَلِيًّا
وَالشَّارِعَ فَاتِحَةً لِلشَّمْسِ،
الرَّيْحَ جَوَازَ مَرُورٍ
وَالْعَصْفُورَ طَرِيقًا ...

التجربة

حسناً ، لن أنام
سأحاول أن أتقرئ درويبي ، وأعرف ما يعرف الآخرون .

حسناً ، سوف أدخل هذا الزحام ، -
خطوة ، خطوتان ، ثلاث ... /

رجلٌ ميّتٌ ، شرطيٌ
رجلٌ ميّتٌ ، شرطيٌ
رجلٌ ميّتٌ ، شرطيٌ ... /
/ لن تكونَ علينا شهيداً /
ها أنا في محيط الكلام
ورقٌ سابحٌ ، ورأيتُ كأني أكرر ما قاله الآخرونُ
ورأيتُ كأني أنام .

الأطفال

قرأ الأطفالُ كتابَ الحاضرِ ، - قالوا :
هذا زمنٌ
يتفتّح في رحمِ الأشلاء ، -

كتبوا :
هذا زمنٌ شاهدنا فيه
كيف يُربي الموتُ الأرضَ ،
وكيف ينحونُ الماءُ الماءَ .

الشاعر

العالمُ يشحبُ ، والكلماتُ نساءُ
يقرؤهنَّ ،
يراودهنَّ كموتٍ :

ما يقتلهُ ، يُحييه
يصنعُ من كفنِ التاريخِ سريراً آخرَ ، يولدُ فيه .

التانه

لم يكن بيننا مَدَى -
شجر الحبّ غباراً ،
والليل مركبةٌ تحمل خطوي ، وتحمل الصّحراءَ

لم يكن بيننا مدى -
كانت السّاعة عُرِيّاً
وكان موتي رداءً :
وارثُ الرّمْلِ
يحمل الحجرَ الأسودَ خبزاً
والشمسَ ظلاً وماءً .

الجنون

كذبوا -

لا تزال طريقي طريقي
والجنون الذي قادني لا يزال أمير الجنون

وأنا سيّد الضوء -

لكنني كي ألامس أقصى المسافات
أخلع نفسي ، حيناً ،
وأخرج من خطواتي

وأتوج نفسي

ملكاً ، باسم ضوئي ، على الظلمات .

الحوار

ها هُنا نلتقي ونغني ونكتبُ
— هذا قليلٌ
ونسيرُ ، ونهتفُ
— هذا قليلٌ
ونشقُ الطريقَ ونهجمُ
— هذا قليلٌ .
ونغيّرُ هذي الوجوهَ ونجرفُ هذا الظلامَ ،
— قليلٌ ، قليلٌ .

[إنه ، الآن ، يعبر بين الحطامِ
ويقول لأحلامه وخطاهُ :
ليس هذا جديراً ، ولا كافياً] .

وافترقنا :
سيكون لنا موعدٌ آخرٌ للكلام .

أدونيس

قال : هذا الشَّجَرُ
لا يزال ، كما كنتُ ، في سنوات الصُّغُرِ
أَلَدُّوبُ إِلَيْهِ كِتَابُ
وَالْحَقُولُ الصُّوَرُ .

حي الميدان

جئتُ ، وجاء الصوتُ ، وجاء الليل / مَرَجْنَا
بالنَّار ، وبالجسدِ الألوانُ
ورسمنا
نهدئين ووجهاً

كان الصوتُ رقيقاً أسودَ ، كان الليلُ أبيضاً –
والقمرُ الشاحبُ مكسوراً
في بيتٍ من خشبٍ
في حيِّ الميدانِ .

قيس

كان قيسٌ يقول : اكتسيتُ بليلي
وكسوتُ البَشْرَ

ورأيتُ إليه يُغطِّي
وجنتيه بنارٍ
ويسامرُ غاباتِها ويُطيلُ السَّمرَ .

ورأيتُ إليه يلمُ القمرَ
حُفنةً حُفنةً من ضِفافِ السَّهرِ .

جلقامش

كان بيني وبين طريقي مثلُ الحدادِ
حين راحتِ بلادي تضيق وتجتاحني صَبَوَاتُ
غيرُ ما كان بيني وبين خُطايَ - إذنْ
متُ ،
وانطفأتْ كلماتي؟

هل أقول ، إذنْ : ضاعَ وجهي؟
هل أقول : ابتكرتُ الرَّمَادُ؟

النفري

ساوتني شمسي بالأشجارِ
وبالأنهارِ
وبالبؤساءِ / سلوها
كيف نفّتنني

نثرتني في الطُّرقاتِ وفي لهجاتِ الغربةِ ، كَلّا
لا تسلوها

أسلمتُ لتيه الشمسِ خطايَ -
رضيتُ لوجهي هذا المنفى .

حيا الشاغور

شيخ: وردة أحلام
تدبل في عينيهِ ،
ساقُ الوردِ عكَّازُ
مَحْنِي
يعرجُ
في
ساقِيهِ ،

والأوراقُ جِراحُ
تتطايرُ من كَفِّيهِ .

الثورة

رمزاً ، أو جسراً
لسقوط يأتي
لنهايات أخرى ، -
أُنشَقُّ هذا الحجر السَّابِغَ في رثيتك ، وأزفرُ
هذي رثيتي
في الجهة الأخرى من ذاكرتي .

غَنَيْتُكَ في صوت الأحياء ، نقشتك في صمتِ الأمواتِ
وكتبتُكَ في اللهجات ، وفي الطُّرقات ، وكل فضاءٍ ، حتَّى
أغرَّتني كلماتي
أن أمحو نَفْسي . . .

أرما دُكِّ هذا؟ لكن
هل كلِّ رماد يصنع وَجْهاً؟
لا أعرفك الآن ، سؤال :
هل أنتِ الحَبْرُ أم الممحاة؟

لا ألمحكِ ، الآنَ ، ضبابٌ :
هل أنتِ الوجهُ أم المرأةُ ؟

الأطفال ٢

هوذا التاريخ ركامٌ
والناسُ دمٌ يتخثرُ ، والأيامُ قبورُ/
عن أيّ فضاءٍ
عن أيّ دروبٍ تنشقُّ الأيامُ؟

سمع الأطفالُ سؤالَ النارِ وناموا
الجسمُ كتابٌ من لَهَبٍ
والوجهُ سلامٌ .

قاسيون

زائرٌ يقرعُ البابَ / أهلاً
بصديقِ الغفاريِّ ،
أهلاً .

— مَنْ رأيت؟ وماذا سنفعلُ؟ هذا
مِزودٌ للطريق ، وهذا
غَضَبٌ شاءه الجامحون :

لن يكونَ ظلامٌ على قاسيون .

أبو تمام

يحدثُ أن يَأْتِي لَيْلٌ وَأَنْ
يَقْرَأَ لِلضُّوءِ كِتَابَ الظُّلَامِ

يحدثُ أن يُصْنَعِي شِعْرِي ، وَأَنْ
يَقُولَ لِلشَّمْسِ : هَنَا عَهْدُنَا

صَبَرْنَا دَمًا فَرْدًا ، وَصَارَ الْمَدَى
فِي وَجْهِنَا ، مُسْتَقْبَلًا لِلْكَلامِ .

بودلير

شعرٌ في شهواتي ، بين جفوني ، فوق سريري
شعرٌ/ جسدٌ ،
كالأرض غريبٌ
كالأرض أليفٌ ،
والجنسُ قميصٌ من نورٍ .

رينيه هاريا ريلكه

بعد أن تستسلم الوردة للشمس ، وتذوي
تَرت الرِّيحُ الغُبَارَ الذَّهَبِيَّ
وتقول الأرض عن أشلائها :
هذه أغنيتي رُدَّتْ إليّ .

أبو نواس

لغة - فِتْنَةٌ / كلمات - دَمٌ
والسَّماءُ مَفْتَرَقٌ
وأنا عابِرٌ
بالسَّماءِ يَلْتَطِمُ .

الحامش

كي يظلّ امرؤ القيس وعداً
ويكون لغرّة أن يُطعمَ الفقراءَ ، —

رَسَمَ الغاضبون خطاهم
لهباً واختراقاً ،
وأباحوا الفضاءَ .

الأوائل

أول الشيء

كيف أعطيك شكلاً

أيهذا الصديق الذي لا يزال يعاند؟ سميتك الشيء - قلتُ :
امتلكتك . لكنك الآن تنفرُ ، واسمك ينفرُ/ ماذا أسميك؟
هذا مكانك؟ غيرتَ نوركَ أم أنني
لستُ نفسي؟ أنا أنت؟ لكنَّ ضوءك ما زال يسطعُ - كادَ
الحريقُ

أن يجوسَ عروقي ملتهماً كلماتي - مهلاً
أين ، أني ، وكيف أسميك ، أعطيك شكلاً ،
أيهذا الصديق؟

أول الخلف

ها أنا أولدُ الآن -
أرئو إلى الناس :
أعشقُ هذا الأنين / الفضاء
أعشقُ هذا الغبار يغطي الجبين / تنوّرتُ
أرئو إلى الناس - نبع / سرّ
أتقرّى رسومي - لا شكل غير الحنين
وهذا البهاء
في غبار البشر .

أول الجسد

زهرة الأقحوان
سرقت نفسها من شقوقِ الزَّمانِ
فرشتها سريراً .
رغبت أن تمتدَّ خُطاها
شارعاً وتوازت

مع سريرٍ على بَرْدٍ / والمكانِ
غيرُ هذا الذي يتسمَّى
قاسيون ، وغيرُ السَّماءِ ... المكانِ
زهرةُ الأقحوانِ .

أول الشعر

أجمل ما تكون أن تُخلخلَ المدى
والآخرون - بعضهم يظنك النداء
بعضهم يظنك الصدى .
أجمل ما تكون أن تكون حجة
للنور والظلام
يكون فيك آخر الكلام أول الكلام
والآخرون - بعضهم يرى إليك زبداً
وبعضهم يرى إليك خالقاً .
أجمل ما تكون أن تكون هدفاً -
مفترقاً
للصمت والكلام .

أول الكتاب

فاعلاً ، أو ضميراً —
والزمانُ هو الوصفُ . ماذا؟ تكلمتَ ، أو يتكلم
باسمك شيءٌ؟

تستعيرُ؟ المجازُ غطاءٌ
والغطاء هو التَّيْه —
هذي حياتك تجتاحها كلماتٌ
لا تُقرّ المعاجمُ أسرارها/ كلماتٌ
لا تجيبُ ، ولكنها تتساءلُ — تيهٌ
والمعجازُ انتقالٌ
بين نارٍ ونارٍ
بين موتٍ وموتٍ .

أنتَ هذا العبور الذي يتقرّى ، ويولد في كل معنى :
لن يكونَ لوجهك وَصْفٌ .

أول الحروف

لم يعد للقصيد
غيرُ هذا الصدى —
أتياً من رُكام المدائن ، مستوحشاً ،
أعيدي :
«لم يعد للصدى
غير أن يتلبسَ نارَ الكلام . . .»

من رآك تجرّينَ خطوكِ بين الحطام
غيرُ هذا الكلام — أعيدي :
«لم يعد للصدى
غير هذي القصيده . . .»

أول الكيمياء

لا أريد لمهيار أن يترسمَ خطَّ السَّوادِ -

يكون ، إذن ، عاصياً .

لا أريد لمهيار أن يترسمَ خطَّ البياضِ -

يكون ، إذن ، طيعاً .

لا أريد له أن يكون القرارَ

ولا أن يكونَ جواباً -

بل أريد لمهيار أن يتلبَّسَ وجهَ الفضاءِ

مَرَّحِباً ، زهرةَ الكيمياءِ

نحن ، هذا الصَّبَّاحَ ، شقيقانِ - نِدَّانِ ،

والكونُ فينا سواءُ .

أول العهد

أين صارت رياحك ، مهيار ، أين؟
لا تقل : خائني مداري
لا تقل : ضللتني دروبي ، ولم تهدني خطواتي
أين صارت أغانيك ، مهيار ، أين؟

— أعلن ، الآن ، اختار هذا المكان
كلماتي فؤوس
ولصوتي شكل اليدين
أعلن ، الآن ، أتّي حطاب هذا الزمان .

أول الحنين

حَنّ مهيارٌ للقصبَاتِ النّحيلةِ في غابةِ الذّاكرةِ
تقرأ الأرضُ كَفْيَه ،
والليلُ يلبسُ أهدابَه / الذّاكرةِ
عُرْسٌ .

كان فجرُ الينابيعِ يُثْمِمْ والحبّ يكسو
جسدَ الذّاكرةِ
حَنّ مهيارٍ للنارِ تَلْتَهُمُ الذّاكرةُ .

أول الشعر ٢

. . . إنه العُريُّ يكشف عن جثثِ الكلماتِ

إنَّه الكونُ يذبلُ
ضبيعتُ ناري

لغتي غيرُها
خطواتي
لم تعد خطواتي .

أول اللغة

لم تعد هذه المدينة
أفقاً أو مداراً

ينبغي أن نؤسس حتى نراها
ونرى أننا نراها ،

نظراً لا يزال جنيئاً
لغة لا تزال دقيئة . . .

أول الصداقة

في العام الألفين -
أغني الآن ، عنيتُ غداً ، أو بعد غدٍ ، أدعوك إلى مائدتي
وتكونُ الشمسُ ، يكون الماءُ ، يكون العشبُ ضيوفاً /
نتخاصمُ : أي رؤانا أعصفُ ،
أي خطانا أنأى -
نتصالحُ تحت سماءِ الشعرِ ،
ونعلنُ مملكة الخصمَيْنِ -
ووحدة هذين الخصمَيْنِ .

أول الفروقات

خَرَجَ الشَّعْرُ طِفْلاً إِلَى الشَّرْفَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، -
كَانَتِ الشَّمْسُ تَفْتَحُ
وَالرَّيْحُ تَمْسَحُ أَهْدَابَهُ النَّبَوِيَّةَ :

لَا صَدَى بَيْنَ صَوْتِي وَهَذَا الْفَضَاءِ ، -
هَلْ حَنِينِي غَيْرَ الْحَنِينِ ، نَدَائِي غَيْرَ النَّدَاءِ ؟

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ جَذُورِي
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ حَضُورِي
غَيْرُ هَذِي الْعُرُوقِ النَّحِيلَةِ فِي جَسَدِ الْأَبْجَدِيَّةِ .

أول العشق

قرأ العاشقون الجراح / كتبنا الجراح
زمناً آخرأ ، ورسمنأ
وقتنا :
وجهيَ المسأ ، وأهدابك الصبأ
وخطأنا دمً وحنينً
مثلهم /

كلما استيقظوا ، قطفونا
ورموا حبهم ورمونا
وردةً للرياح .

أول الجنون

حين جاءت رياحك تجتاح غاباتِ الفسيحة
قال : للموتِ شكلُ الفراشةِ
للجنس وجهُ الجنونِ .

ها هو ، الآن ، يلبسُ ما تلبس الذبيحة
غدهُ
أمسهُ ،
ومداهُ
شَفَرَةٌ - وغبارٌ من الكلماتِ ،
أمامَ الجفونِ .

أول الطريق

الليلُ كانَ وَرَقاً - وكُنَّا
حبراً :

- «رسمتَ وجهاً ، أو حجراً؟»
- «رسمتَ وجهاً ، أو حجراً؟» .
ولم أُجِبْ ،
ولم تُجِبْ / عشقنا

سكوتنا ، - ليست له طريقُ
كحُبنا - ليست له طريقٌ ...

أول الجنس

غُرفٌ تنحني في سواعدٍ ، والجنس يرفع أبراجه -
ارتماءً

في خليج من الحزن ،
حزناً

في خليج الخواصر ؛ - والجنس يفتح أبوابه - دخلنا
كانت النار تزرع ، والليل يعجني قناديلها - مهّدنا
تَلَّةً ، وردّنا
حُفْرَةً ، وهمسنا

للمدى أن يمدّ يديه...

كان ضوء الممرات كالنهر - تاهت

ضفّتنا ، جعلنا

ماء ماءنا ، وجعلنا

ضفّتنا لباساً

لهوى ضفّتيه ...

أول الاسم

أيامي اسمُها
والحلمُ ، حين تَسهرُ السَّماءُ في أحزاني ، اسمُها
والهاجسُ اسمُها
والعرسُ ، حين يُمزجُ الذَّابِحُ بالذَّبيحةِ ، اسمُها

ومرَّةٌ غنيتُ : كل وردةٍ
في التَّعبِ ، اسمُها
في السَّقَرِ ، اسمُها

هل انتهى الطريقُ ، هل تغيَّر اسمُها؟

أول اللقاء

رجلٌ وامرأة
يلتقي فيهما قَصَبٌ وأينٌ
يلتقي مَطَرٌ وغبارٌ ، -
يتهاوى الرُكَّامُ ،
وتشتعلُ اللغةُ المطفأه
أَيُّنا الغيمةُ المقبلةُ
أَيُّنا دَفْتَرُ الحزنِ؟ أسألُ
عيناكِ تِيهَ ،
ووجهك لا يسمع الأسئلة ،

وأنا منتهى الليلِ ، أعشَقُ كي أبدأه
وأقول التقى
رجلٌ وامرأة
رجلٌ وامرأة ...

أول الفضاء

جَسَدُ الْأَرْضِ يَسْتَنْبِئُ النَّارَ ،
وَالْمَاءُ أَقْدَارُهُ الْمَرْجَاهُ /
أَلْهَذَا تَصِيرُ الرِّيحُ نَحِيلًا ؟
أَلْهَذَا يَصِيرُ الْفَضَاءُ أَمْرًا ؟

أول الجنس ٢

غرفة شرفات ظلام

وبقايا جراح
جسد يتكسر -
نوم

بين تيه وتيه

دَمْنَا دَائِرٌ فِي حَوَارِ
وَالْمَتَاهُ الْكَلَامُ .

أول الرّيح

«جسد الليل» قالت ، وأكملتُ : «بيتُ
للجراح وأيامها . . .» بدأنا

مثلما يبدأ الفجرُ ، ندخلُ في الظلّ
أحلامُنا تتشابكُ
والشمس تفتح أزوارها : «سيأتي
زبدٌ يتقنّع بالبحرِ ، - كُنّا
نتقرّى مسافاتنا / نهضنا

ورأينا إلى الرّيح تمسح آثارنا ، همسنا
نستعيد مواعيدنا ،
وافترقنا . . .

أول الموت

يصعد الموتُ في درَجٍ - كتفاهُ
بَجَعٍ وامرأةٍ

ينزل الموتُ في درَجٍ - قدماهُ
شرُّ ، ويقايا
مُدنٍ مُطفأةٍ ، -

والفضاءُ الذي كان أجنحةً ، يتمادى
تمادى ...

أول الحصاد

ظِلُّ يَشْرُدُ فِي الطَّرِيقَاتِ وَظِلُّ يَنْأَى
فِي أَشْجَارِ تَنْأَى ، -

زَرَعُوا حُبًّا
حَصَدُوا مَوْتًا

كَفَنُ الذِّكْرِ يَتَحَوَّلُ ، صَارَ طَرِيقًا ، -
نَهَضُوا

حَمَلُوا عَبْءَ الزَّمَنِ الْمَيِّتِ ، وَسَارُوا .

أول التهجية

نقدرُ ، الآنَ ، أن نتساءلَ كيف التقينا

نقدرُ ، الآنَ ، أن نتهجّي طريقَ الرجوعِ

ونقولُ : الشواطئُ مهجورةٌ ،

والقلوعُ

خبرٌ عن حُطامٍ .

نقدرُ ، الآنَ ، أن ننحنى ، ونقولُ : انتهينا .

أول السفر

أَلَمَوَاعِيدُ تَأْتِي وَتَنْطَفِئُ الشَّمْسُ فِيهَا
أَلَمَوَاعِيدُ تَمْضِي وَتَنْفُتِحُ الْجَرَحَ فِيهَا -
لَمْ أَعِدْ أَعْرِفُ الْغُصْنَ ،
وَالرَّيْحُ لَمْ تَتَذَكَّرْ
قَسَمَاتِي ، - هَذَا غَدِي؟ سَأَلْ

العاشقُ نَاراً ،
وَحَنٌّ لِلسَّفَرِ الطَّالِعِ فِي وَجْهِهَا ،
وَسَافِرٌ فِيهَا ...

أول السؤال

أفقٌ يتورّد ، - لكنّ وجهَ المطرِ
يائسٌ .

أفقٌ يتكسر ، - لكنّ وجهَ المطرِ
عاشقٌ .

مطرٌ عاشقٌ يائسٌ - خطانا
ورقٌ يرتمي في حفرة

كيف لا يغمر الماء هذي الحفرة؟
مطرٌ عاشقٌ ، - لو سألنا :
كيف لا يغسل الماء هذا الثمر -
أتراهُ يجيبُ الشجر؟

ربّما ، ربّما ...
وأكونُ النزيفَ ، وأمضي
راسماً شرياني سؤالاً على دفتر المطر...

أول الرواية

كان رصاصٌ يهمني
والأطفال شظايا أو راياتُ

... ها هي أجسام المحروقين ،
المذبوحين ،
القتلى من أجل الحرية

بُقِعَ شمسيةُ
والكلماتُ ، الآن ، جميعُ الكلماتُ
صارت عَرَبِيَّةً .

أول التسمية

سمّينا
كلّ مكانٍ سيفاً
وأخذنا نبني -

قمرأ من حوارٍ،
غابات رؤوسٍ،
وكواكب من ليل الأشلاء

وأقمنا مملكة الأشياء .

أول الحزن

قالت أحزانُ الشاعرِ للأمواجِ : «رأينا
رأساً يطفو . . .»

والبحرُ يقول : «تطوّخُ ،
لا عاصمَ في سبَرِ الأغوارِ ،
سوى الأغوارِ . . .» وقال الرأسُ : «مشتُ»

أحزانُ الشاعرِ مثلَ عروسٍ
لا عرسَ لها
لا بيتَ لها . . .

أول التاريخ

الذين أتوا ليضيئوا ، يموتون
والشمس تسطح في قُقمٍ أو تكيّه
باسم صحرائنا العربيّة /

إنّها لحظةُ الخرافة
إنّها رعدةُ الوصولِ إلى آخر المسافة .

أول الطريق ٢

قرأ الأيام كتاباً - فرأى

أنَّ العالمَ يُصبح قنديلاً

في ليل مرارته ،

ورأى

أنَّ الأفقَ يجيء إليه صديقا ،

ورأى

وجهَ النَّارِ ، ووجهَ الشَّعر - طريقا .

أول الصدق

قافلة لَوَّحَتْ وَغَابَتْ
وانطفأت بعدها البيوتُ :

لِنَعْتَرِفُ أَنَّنَا نَمُوتُ .

أول الحشد

أصواتٌ
تتعانقُ في السّاحات / جمعنا
عِلْمَ الأفاقِ ، دليلَ الجَمَرِ :

اليومَ ، ووجهُ الأرضِ هِلَالٌ ،
اليومَ ، سنقتل هذا العَصْرَ . . .

أول الحياة

في نسيج الإبادة

من سماء بلا مطرٍ
كان يأتي ،
في دماء تتوجهُ كان يمشي

ويقول المدى ، ويقول الولادة . . .

أول الاجتيام

لا تقولوا : جُنُنتَ .

جنوني أحلامكم / أتينا

ورسمنا الحقول

جسداً يَتَفَتَّحُ ، كنا نقول

لو نجيءُ ونغتصب الكونَ .

جئنا

مَنْ يراكم يراني - أنا الوردة الأولى

في رمادِ المساء انكسرتُ ، وبالفجر طيبتُ جذري -

أوراقِي الزغبِيَّة

تتقاطرُ في سَلَمٍ /

صوتُ آتٍ

أم خُطى تَناءى؟

مَنْ يراكم يراني - أنا كاشفَ الظنونِ

وأقدمُ نفسي للرَّعدِ : هذا سُعاعٌ

غَيَّرُوا صُورَةَ الطَّبِيعَةِ
أَمَزَجُوا الصَّخَرَ بِالْجَنَاحِ ، وَبِالْغَبْطَةِ الْفَجِيعَةِ .

كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ عَلَى الْأَرْضِ / وَجْهِي فُضَاءٌ
وَالْمَدَى أَوَّلُ الْعَيُونِ

مَنْ يَرَاكُمْ يِرَانِي / صَرَخْنَا :
لَا طَرِيقَ سِوَى النَّارِ ، جِئْنَا
لَا مَجِيءٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاعِقًا ، وَجِئْنَا
لَمْ تَزَلْ تَكْبِرُ السَّجُونَ
وَالْمَنَافِي تَرْفُ مَعَ الْهُدْبِ ، وَالْخَوْفُ يَعْصِفُ ، وَالْخَائِفُونَ
وَرَقَّ ،
تَكْبِرُ السَّجُونَ /

يَهْبِطُونَ إِلَى الشَّعْرِ فِي جُبَّةٍ ، فِي زَوَايَا
يَسْتَجِيرُونَ بِالْحَدِّ ، يَمْشُونَ فِي فُسْحَةٍ خَرَزِيَّةٍ
وَأَنَا الصَّاعِقُ الْحُدُودَ ، أَنَا الرَّحْمُ الْأَوَّلِيَّةُ .

وَيَقُولُونَ : هَذَا غَمُوضٌ
وَيَقُولُونَ : غَيْبٌ /

غَيْبِي كَلِمَاتِي

عَيْبِيْ خَطَوَاتِي
 واجمحي وخذيني
 أيها الشهوة الملكية ؛ -
 إن رأيتَ على مدخل الجامعة
 نجمةً ، خُذْ يديها
 إن رأيتَ على مدخل الجامعة
 كوكباً ، عانقيه ...
 وكتبنا على مدخل الجامعة :
 ألّتواريخ تنهار ، والنّار تطفئ
 خطانا
 لَهَبٌ يَتَغَلَّغِلُ فِي جُثَّةِ الْأَرْضِ .
 نَسْتَأْصِلُ الْعَائِلَةَ
 ونقيمُ الصّدَاقَةَ / غَنّوا
 للشّقْوقِ التي تجرح الدّهر هذا
 زمنٌ يَتَفَتَّتُ / غَنّوا
 لهجوم الفجیعة
 أَفْسِحُوا لِلْمَقِيدِ أَنْ يُؤْلِمَ الطَّبِيعَةَ
 لأغانيه ... /
 تَأْتِينِ تِيَاهَهُ غَارِقَةً
 في محيط الدّم العربيّ ، تجيئينَ أشهى من الصّاعقة
 لا تقولوا : جُنُنْتَ .

جنونِي أحلامكم / أتينا
وهبطنا الظلام ، كسرنا قناديله ، وجئنا
مثل أرض تحن إلى الماء ، جئنا
مثل رعدٍ تدثر بالغيم / وعدّ :

ستكونون فجراً
سيكون الزمان لأحلامنا شرفاتٍ ...

كل شيءٍ جديدٍ على الأرض ، والأبجدية
لهبٌ ،

والجنونُ
سَقَرٌ بينها وبينِي /
أفقٌ
يتهمجى الحدودَ الخفية ،
واسمنا واحدٌ -

تأسستُ في شَجَرٍ لا يموتُ
ورأيتُ الخطي ، ورأيت البيوتُ
وهي تنهارُ / هذا شراري

والمسافاتُ حُبلى
واسمُّنا واحدٌ - ونحتاجُ : هذا مدانا

أن نَرْجُ المداراتِ ، أن لا نكونُ
غيرَ هذا الجنونِ
الجنونِ
الجنونُ .

أول الكلام

ذلك الطفل الذي كنتُ ، أتاني
مرةً
وجهاً غريباً .

لم يقل شيئاً . مشينا
وكِلانا يرمقُ الآخرَ في صمتٍ . خُطانا
نَهْرٌ يجري غريباً .

جمعتنا ، باسمِ هذا الورقِ الضاربِ في الرِّيحِ ، الأصولُ
وافترقنا
غابةً تكتبها الأرضُ وترويهما الفصولُ .

أيها الطفل الذي كنتُ ، تقدِّمُ
ما الذي يجمعنا ، الآنَ ، وماذا سنقولُ؟

كتاب الحصار

(1985-1982)

صحراء I

1

أَلَمْدَائِنُ تَنْحَلُّ ، والأَرْضُ قَاطِرَةٌ مِنْ هَبَاءٍ ، -
وَحَدُهُ الشَّعْرُ ، يَعْرِفُ أَنْ يَتَزَوَّجَ هَذَا الْفَضَاءُ .

2

لَا طَرِيقٌ إِلَى بَيْتِهِ ، حِصَارٌ
وَالشَّوَارِعُ جَبَانَةٌ ؛
مِنْ بَعِيدٍ ، عَلَى بَيْتِهِ
قَمَرٌ ذَاهِلٌ يَتَدَلَّى
فِي خَيَوطِ الْغُبَارِ .
قُلْتُ : هَذَا طَرِيقِي إِلَى بَيْتِنَا ، قَالَ : كَلَّا
لَنْ تَمُرَّ ، وَسَدَّدَ نَحْوِي رَصَاصَاتِهِ ، -
حَسَنًا ، لِي فِي كُلِّ حَيٍّ
رَفِيقَةٌ ، لِي بَيُوتٌ ...

3

طُرُقُ لِلدَّمَاءِ -

الدَّمَاءِ التي كانَ طِفْلٌ يُحَدِّثُ عنها
وَيُوشِشُ أَصْحَابَهُ :
لم يعد في السَّمَاءِ
غيرُ بعضِ الثُّقُوبِ التي سُمِّيتْ أَنْجَمًا ...

4

كان صوتُ المدينةِ الْطَفَّ من أن تشدَّ الرِّيحُ
حَبْلَ أوتارِهِ ، -
كان وجهُ المدينةِ يَزْهُو
مثلَ طِفْلٍ يُهَيِّئُ لِلَّيْلِ أَحْلَامَهُ
ويقدِّمُ كَرْسِيَهُ لِلصَّبَاحِ .

5

وجدوا أشخاصاً في أكياس :
 شخصٌ لا رأسَ له
 شخصٌ دون يدين ، ودون لسان
 شخصٌ مخنوق
 والباقون بلا هيئاتٍ وبلا أسماء
 - أجننت؟ رجاءُ
 لا تكتب عن هذي الأشياء .

6

صفحةٌ من كتابٍ
 تَتمرأى قنابلُ فيها
 تَتمرأى التَّبَوَاتُ والحِكمُ الغابِره
 تَتمرأى محاربٌ ، - سَجَادَةٌ من حروفٍ
 تتساقطُ خيطاً فخيطاً
 فوق وجه المدينة ، من إبرِ الذَّاكِرَة .

7

قاتِلٌ في هَوَاءِ المدينة ، يَسِبح في جُرْحِهَا ، -
 جُرْحُهَا سَقَطَةٌ
 زُلْزَلَتْ بِاسْمِهَا - بنزيفِ اسْمِهَا

كلّ ما حولنا
البيوت تغادر جذرائها
وأنا لا أنا .

8

ربما جاء وقت ستقبل فيه
أن تعيش أصمّ وأبكم ، لكن
ربما سمحوا أن تتمم : موت
وحياة
وبعث ،
والسلام عليكم ...

9

من نبيد النخيل إلى هدأة الصحارى ... إلى آخره
من صباح يهرب أحشاءه
وينام على جثث الثائرين ... إلخ * ،
من شوارع ، من شاحنات
للجنود ، الحشود ... إلخ ،
من ظلال رجال نساء ... إلخ ،
من قنابل محشوة بدعاء الحنفيين والكافرين ... إلخ ،

* تقرأ بلفظها الكامل ، كما هي واردة في السطر الأول .

مِنْ حَدِيدٍ يَنْزُ حَدِيداً وَيَنْزِفُ لِحْماً... إلخ ،
 مِنْ حَقُولٍ تُحَنُّ إِلَى الْقَمَحِ وَالْعُشْبِ وَالْعَامِلِينَ... إلخ ،
 مِنْ قِلَاعٍ تُسَوِّرُ أَجْسَادَنَا
 وَتُهَيِّلُ عَلَيْنَا الظَّلَامَ... إلخ ،
 مِنْ خِرَافَاتٍ مَوْتِي تَقُولُ الْحَيَاةَ ، تَقْوِدُ الْحَيَاةَ... إلخ ،
 مِنْ كَلَامٍ هُوَ الذَّبْحُ ، وَالذَّبْحُ ، وَالذَّبْحُونَ... إلخ ،
 مِنْ ظِلَامٍ ظِلَامٍ ظِلَامٍ
 أَتَنْفُسُ ، أَلْمَسُ جِسْمِي - أَتُبْحَثُ عَنِّي
 وَعَنْكَ ، وَعَنْهُ ، وَعَنْ غَيْرِنَا ،

وَأَعْلَقَ مَوْتِي

بَيْنَ وَجْهِي وَهَذَا الْكَلَامِ - التَّزْيِيفِ... إلخ .

10

سَوْفَ تَرَى ، -

قُلِّ اسْمُهُ
 أَوْ قُلِّ رَسَمْتُ وَجْهَهُ
 مَدَّ يَدَيْكَ نَحْوَهُ
 أَوْ ابْتَسَمَ ،
 أَوْ قُلِّ فَرَحْتُ مَرَّةً
 أَوْ قُلِّ حَزَنْتُ مَرَّةً ،

سوف ترى :
ليس هناك وطن ...

11

غير القتلُ شكْلَ المدينة - هذا الحجرُ
رأسُ طفلٍ -
وهذا الدُخانُ زفيرُ البَشَرِ .
كلُّ شيءٍ يُرْتَل منْفاهُ / بَحْرُ
من دماءٍ - وماذا
تتوقَّعُ هذي الصَّباحاتُ غيرَ شرايينها المبحرة
في السديم ، وفي لُجَّةِ المجزرة؟

12

سامروها ، أطيّلوا السَّمَرُ
إنَّها تُجلِسُ الموتَ في حضنِها
وتقلِّبُ أَيَّامَها
ورَقاً شائخاً ، -

احفظوا آخرَ الصَّوَرِ
من تضاريسها
إنَّها تتقلَّبُ في رَمْلِها
في محيطٍ من الشرِّ

وعلى جسمِها
بُقِعَ من أنينِ البشرِ .

13

بِذَرَةٍ بِذَرَةٍ ، تتناثرُ في أرضِنا
فاحفظي سرَّ هذي الدِّماءِ
يا حقولاً تُغذي أساطيرَنا ، -
أتحدّثُ عن نكهةٍ في القِصُولِ
وعن بارقٍ في الفضاءِ .

14

ساحةُ البرجِ - (نقشُ يوشوش أسرارهِ
لقناطرٍ مكسورةٍ ...)
ساحُ البرجِ - (ذكرى تفتّش عن حالها
في غبارٍ ونارٍ ...)
ساحةُ البرجِ - (صحراءُ مفتوحةٌ
تصطفّيها الرياحُ ، وتجترّها ...)
ساحةُ البرجِ - (سِحْرُ
أن ترى جُثثاً تتحركُ / أطرافُها
في زقاقٍ ، وأشباحُها
في زقاقٍ / وتسمعُ آهاتها ...)

ساحةُ البرج - (غربٌ وشرقٌ
والمشائق منصوبةٌ ، -
شهداءٌ ، وصايا . . .)
ساحةُ البرج - (حشدٌ
مِن قوافِلَ : مُرٌ
ولبانٌ ومسكٌ
والبهاراتُ تفتّحُ المهرجانُ . . .)
ساحةُ البرج - (حشدٌ
من قوافِلَ : رعدٌ
وانفجارٌ ، وبرقٌ
والأعاصيرُ تفتّحُ المهرجان . . .)

ساحةُ البرج - (أرختُ هذا الزمانُ
باسمِ هذا المكان) .

15

- جُثْتُ أو حُطّامٌ
وجهُ بيروت؟

- هذا

جرَسٌ ، أم صراخٌ؟

— صديق؟

— أنت؟ أهلاً .

أسافرت؟ عُدت؟ جديّدك؟

— جارّ لنا قتلوه ... /

.....

لَعِبْ /

— نَرُدُّكَ اليَوْمَ أَقْوَى ،

— مُصَادَفَةً /

.....

ظُلُمَاتُ

والكلامُ يَجْزُرُ الكلامَ .

صحراء II

1

... في زمانٍ يُصارحني : لستَ مِنِّي
وأُصارحُه : لستُ منك ، وأجهد أن أفهمه ...

وأنا الآن طيفٌ
يتشردُّ في مهمه
ويُخيم في جمجمه .

2

ألفضاءُ مدى يتضاءلُ ، نافذةُ تناءى ،
والنهارُ خيوطُ
تتقطع في رثيٍّ وترفو المساء .
صخرةٌ تحت رأسي ، -
كل ما قلته عن حياتي وعن موتها
يتكرر في صمتها .

3

أَتَنَاقَضُ؟ هَذَا صَحِيحٌ
فَأَنَا الْآنَ زَرْعٌ وَبِالْأَمْسِ كُنْتُ حَصَاداً
وَأَنَا بَيْنَ مَاءٍ وَنَارٍ
وَأَنَا الْآنَ جَمْرٌ وَوَرْدٌ
وَأَنَا الْآنَ شَمْسٌ وَظِلٌّ
وَأَنَا لَسْتُ رَبّاً
أَتَنَاقَضُ؟ هَذَا صَحِيحٌ ...

4

مُغْلَقٌ بَابٌ بَيْتِي
وَالظَّلَامُ لِحَافٍ ، -
قَمَرٌ شَاحِبٌ حَامِلٌ فِي يَدَيْهِ
حَفْنَةً مِنْ ضِيَاءٍ ،
عَجَزَتْ كَلِمَاتِي
أَنْ تُوَجَّهَ شُكْرِي إِلَيْهِ .

5

أَغْلَقَ الْبَابَ ، لَا لِيَقْيِدَ أَفْرَاحَهُ
... لِئُحَرِّرَ أَحْزَانَهُ .

6

كل شيء سيأتي ، قديم
فاضطحِبْ غيرَ هذا الجنونِ - تهيأ
كي تَظُلْ غريباً ...

7

لم تعد تُشرقُ الشمسُ : تنسلُ في خِفيةٍ
وثواري
قدميها يقشُ ...

8

أتوقّع أن يأتي الموتُ ، ليلاً
أن يؤسّدَ أحضانهُ
وردةً
تعبتُ من غبارٍ يُغطّي جبينَ السّحرِ
تعبتُ من زفيرِ البشَرِ .

يهبطُ اللَّيْلُ [هذا

وَرَقٌ كانَ أعطاهُ للحِجْرِ - حِجْرُ الصَّبَاحِ الذي لم

يَجِيئُ]

يهبطُ اللَّيْلُ فوقَ السريرِ - [السريرُ الذي كانَ هيأهُ

عاشقٌ لم يَجِيئُ]

يهبطُ اللَّيْلُ - لا صوتَ [غَيْمٍ، دخانٍ . . .]

يهبطُ اللَّيْلُ [شخصٌ

في يديه : أرانبٌ؟ نمَلٌ؟]

يهبطُ اللَّيْلُ [سورُ البناية يَهْتَزُّ، كلُّ السَّائِرِ شَفَافَةٌ]

يهبطُ اللَّيْلُ، يُصْغِي :

[أنجمٌ مثلما يعرفُ اللَّيْلُ خرَّساءً

والشَّجَرَاتِ الأخيرة في آخرِ السَّوْرِ لا تتذكَّرُ

ماذا يقولُ الهواءُ لأغصانها]

يهبطُ اللَّيْلُ [بينَ النُّوافذِ والريِّحِ همسٌ]

يهبطُ اللَّيْلُ [ضوءٌ تسرَّبَ، جازٌ

يَتَمَدَّدُ في غُرْبِهِ]

يهبطُ اللَّيْلُ [شخصانِ، ثوبٌ يعانقُ ثوباً

والنُّوافذُ شَفَافَةٌ]

يهبطُ اللَّيْلُ [هذا مزاجٌ -

قمرُ اللّيل يشكو لسِرْوَالِهِ
 ما شكاهُ المحبّونَ دوماً
 يهبط اللّيل [يرتاح في جَرَّةٍ
 مُلِئَتْ خمرَةً - لا ندامى
 رَجُلٌ واحدٌ يتقلّبُ في كأسِهِ]
 يهبط اللّيل [يحملُ بعضَ العناكبِ ، يرتاح للحشراتِ التي
 لا تُسيءُ

لغير البيوتِ/ إشاراتُ ضوءٍ :
 أملاكُ أتى؟ أم قذائفُ ، أم دعواتُ؟
 وجاراتنا

كلّهن ذهبنَ إلى الحجّ - عدن أقلّ ضُموراً ، وأكثر
 غُنْجاً]

يهبط اللّيل [يدخل بين تُدَيّ الأيامِ
 وجاراتنا أيامِ]
 يهبط اللّيل [تلك الأريكة - تلك الوسادة : هذي ممرٌ
 وهذي مقرٌ]

يهبط اللّيل [ماذا تُعدّ؟ نبيذاً؟ أم ثريداً ولحماً؟
 يُخبِئ اللّيل عنّا شهيةَ أحشائه]
 يهبط اللّيل [يلهو قليلاً
 مع حلازينه ،

مع يمامٍ غريبٍ ، ونجهلٌ من أين جاء ، ومع حشراتٍ

لم ترّد في فصول الكتاب الذي خطّه اللقّاحُ عن
الحيوانِ وأجناسِهِ [

يهبط الليل [رغدٌ
أم ضجيجُ الملائكِ جاءت بأفراسِها؟]
يهبط الليل [يَهْذي
يتقلّب في كأسِهِ . . .]

10

مَنْ يُريني كوكباً
يمنحني الحَبْرَ لكي أكتبَ ليلي؟

11

كتبَ القصيدةَ ، -
(كيف أقنعه بأنّ غدي صحاري؟)
كتبَ القصيدةَ ، -
(من يزحزح صخرة الكلمات عني؟)
كتبَ القصيدةَ ، -
(لستَ مِنّا ، إن أنتَ لم تقتل أخاً)
كتبَ القصيدةَ ، -
(كيف نفهم هذه اللّغة الطريفة

بين التساؤل والقصيدة؟

كتب القصيدة ، -

(هل سيقدر ذلك الفجرُ المشرّدُ ،

أن يعانقَ شمسَه؟)

كتب القصيدة ، -

(بين وجه الشمس والأفقِ التباسُ)

كتب القصيدة ، - (فَلَيَمُتُ ...)

12

أتكلّمُ؟ عن أيّ شيءٍ؟

وبأيّ اتجاهٍ أسيرُ؟

سألتك يا نورساً يتموّج في زُرْقَةِ الْبَحْرِ ... / كلاً

من يقولُ : سألتُ ، ومن قال :

أستشرفُ البحرَ ، أو أتحدّثُ مع نورسٍ؟

لم أكن ،

لم أسيرُ ،

لم أقُلْ ...

13

سَأُنَاقِضُ نَفْسِي
سَأُضِيفُ إِلَى مَعْجَمِي :
لُغَتِي لَسْتُ مِنْهَا ، فَمِي
لَمْ يَكُنْ مَرَّةً فَمِي -
أَهْ ، يَا نَجْمَةَ الْخُرَابِ ، وَيَا وَرْدَةَ الدِّمِّ .

14

كَانَ لِي أَنْ أُمَزَّقَ ، أَنْ أَتَنَاقَرَّ فِي غَابَةِ مَنْ لَهَبُ
كِي أَضِيءَ الطَّرِيقَ ،
مُدَّ لِي يَدَكَ الْحَانِيهَ
رُدَّ مَا أَخَذْتَهُ لِيَالِيكَ مِنْ شَمْسِي الدَّامِيَةِ
أَيُّهَذَا الصَّدِيقُ
أَيُّهَذَا التَّعَبُ .

15

كُلُّ مَا أَنْكَرْتُهُ الْعَيُونَ سَتَرَعَاهُ عَيْنِي ، -
ذَاكَ عَهْدَ الصَّدَاقَةِ بَيْنَ الْخُرَابِ وَبَيْنِي .

16

منذُ أسلمتُ نفسي لنفسي ، وساءلتُ :
ما الفرقُ بيني وبين الخراب ؟
عشتُ أقصى وأجملَ ما عاشه شاعرٌ :
لا جواب .

17

بعدَ أن مَزَقَ الشعرُ ثوبَ الزَّمانِ
صرتُ أدعو الرِّيحَ لأهديها ، لتَصيرَ يداها
إِبراً
كي تَخيطَ بأشلائه المكانَ .

18

ما الذي لا مَسَ المتنبئُ
غيرَ الترابِ الذي وطئته خُطاهُ؟
هكذا -
لم يَخُنْ ما تَرَأَى له
في نُبوءاته ، سِواه .

19

لا تموتُ لأنك من خالقٍ ،
أو لأنك هذا الجسدُ
أنت ميتٌ لأنك وجهُ الأبد .

20

ليكنُ ،
من حقِّ أحلامي أن تُهمل جسمي
ولجسمي أن يخونَ الأرقَّ السَّابِحَ فيه...

21

يُنْبَغِي أن أدعوَ الذئبَ لكي يجعلوا مِرآةَ خِرافٍ
نسيت صورتها ...

22

لم نَعُدْ نتلاقى
لم يعد بيننا غيرُ نَبْدٍ ونَفْيٍ ،
والمواعيد ماتت ، وماتَ الفُضاءُ ، —
وَخِدهُ الموتُ صارَ اللقاءُ .

23

زهره -

أَغَوَّتِ الرِّيحَ كَيْ تَنْقُلَ الرَّائِحَةَ
مَاتَتِ الْبَارِحَةَ .

24

تَعْبِي يَرْقُدُ عَصْفُورًا ، - سَأَبْقَى
مِثْلَ غُصْنٍ :
لَنْ أَبُوحَ الْآنَ ، لَنْ أَوْقِظُهُ ...

25

الْغَطَاءُ يُشَقُّ ، وَيُفْتَضَّحُ التَّرْجِمَانُ
فِي الْحَرِيقِ الَّذِي يَلْبَسُ الْآنَ وَجْهَ الْمَكَانِ .

26

مقهى - والبحرُ ، اليومَ ، ينامُ كطفلٍ /
هذا وجهُ أعرْفُهُ - أهلاً ، كيف الحالُ ، وهذا
صوتُ أذكْرُهُ ...
- لم يأتِ الفوالُ اليومَ ...
- مريضٌ؟ أمْ هُجِرَ؟
- مجهولونَ رموهُ
في بِئرٍ ...

... / والبحرُ ينامُ ، اليومَ ، كطفلٍ ...

27

لَسْتُ هذي المدينةَ أو تلكَ ،
لَسْتُ الإقامةَ والذكرياتِ / الأفاصي رهائلك - لكنْ
خطواتك مدعورةُ
وتواريخُ ذاك الفضاءِ الذي كنتَهُ
طيوفُ
وبوارقُ من شُعلةٍ تتلاشى ...

28

خالقٌ يأكله الخلقُ ، بلادٌ
في الدّم الدّافقِ من أشلائها تختبئُ ، --
إنه العَصْرُ الذي يبتدئُ .

29

كلّما قلتُ : هذي بلادِي تدنو
وتُثمر في لغةٍ دانيةٍ
قد فتني إلى بلدٍ آخرٍ
لغةٌ ثانية .

30

شَجَرٌ ينعني ليقولَ وداعاً
زَهْرٌ يفتتحُ ، يزهو ، ينكسُ أوراقه ليقولَ وداعاً
طرقٌ كالقواصِلِ بين التّنفسِ والكلماتِ تقولَ وداعاً
جسدٌ يلبسُ الرّمْلَ ، يسقطُ في تيههِ ليقولَ وداعاً
ورقٌ يعشقُ الحَبْرَ
والأبجديةَ والشعراءِ يقولَ وداعاً
والقصيدةَ قالتَ وداعاً .

31

كلّ ذاك اليقين الذي عشتُه ، يتلاشى
كلّ تلك المشاعيل من شهواتي وأشيائها ، تتلاشى
كلّ ما كان بيني وبين الوجوه المضيئة في هجرتي ، تتلاشى
أبدأ الآن من أوّل .

32

يتساقطون ، - الأرضُ خيطٌ من دخانٍ
وأظنّ أنّ الوقت قافلةٌ
تسير وراءه . . .

أشخاص

1

أحمدٌ ...

تحت أهدايهِ نجوّم
غير أن العناكب تنسج أحلامه .

2

يَسْتَضِيءُ سليمانُ ، لكن بقوةِ النابذهِ
حين قال : اهتديتُ ، وأسلمَ أجفانهُ
للضياء الذي شَعَّ في بيتهِ
كان وجه الفضاء غراباً على النافذهِ .

3

لم يقل قاسمٌ : إنَّ للحلمِ فأساً
قال : للحُلْمِ حَقْلٌ ...

4

وردةً أجهشتُ بالبكاء
حين غطى عليّ بأوراقها وجهه ، -
كان يبكي الطيور التي هاجرت
ويُعزّي الفضاء .

5

فجأة - في تقاطع درين ، وجه -
هو؟ لكنه مات ، أو قيل مات . ضجيج
عربات
وباعة خس وتبع ،
أأناديه؟ ناديت - وجه
لم أميز ملامحه ، ردّ ... أهلاً ،
ما اسمه؟
ضجّة ورصاص - فجأة ، وهدير :
صوت نقالة ...

6

كُلُّ نَهَارٍ ...
يَسْتَيْقِظُ قَبْلَ الشَّمْسِ ، لِيَنْظُرَ مِنْ شُرْفَتِهِ
كَيْفَ يُحْيِي الزَّهْرُ
خَطَوَاتِ الْفَجْرِ .

7

— ما الذي يُدْخِلُ الْفَضَاءَ لِعَرْفَتِهِ الدَّائِمَةِ؟
— نَارُ أَشْلَائِهِ الْعَالِيَةِ .

8

إِعْتَذِرْ
لِلدُّرُوبِ الَّتِي ضَلَّلتُهَا
خَطَوَاتُكَ ، وَاخْضَعْ
لِلظَّلَامِ النَّبِيِّ
أَكْثَرَ مِنْ مَارِقٍ أَنْتَ فِي هَوْلِ مَعْرَاجِكَ الْعَرَبِيِّ .

9

لا المداراتُ، لا اللّغة النّافره
من جراح المدينةِ أغوتكَ، - أسلمتَ لِلحظةِ العابره
خطواتك، -
لا شيءَ غيرِ الطّرائدِ في غايَةِ الذاكرةِ .

10

جسمك الآنَ قنديلٌ ظنُّ
والمكانَ يموجُ من الرّعبِ، عيناك لا تُغمضانُ
خوفَ أن يهربَ المكانُ .

11

لا أريدك أن تتحدّثَ أو أن تلوّح : أبهى
أن تظلَّ غيباً
كي تظلَّ سؤالاً .

12

كان هذا مَمَرًا إلى بيتها ، - كثيراً
خبأتنا شجيراتهُ ، ورسمنا
في تقاطيعهِ خُطانا ، -
وهنا كان مروان يجمع أصحابهُ ...
مات ميثاقهم وماتوا
وامُحِت هذه العُتباتُ .

13

أخذوه إلى حفرةٍ ، حرقوه
لم يكن قاتلاً ، كان طفلاً
لم يكن ... كان صوتاً
يَتَمَوَّجُ ، يعلو مع النار ، يَرْقَى على دَرَجَاتِ الفضاء
وهو ، الآن ، شَبَابَةٌ في الهواء .

14

ليس منديلُها لِيُلْثَمَ وجهاً
أو يردُّ الغبارَ ، وليس لكي يمسحَ الدَّمْعَ ، منديلُها
طَبَقُ الخبزِ والجبنِ والبيضِ ، وهو لِحافُ
لِرشاشِها ، -
كان منديلُها رايةً ...

15

تَرَكَ القافله

ومزاميرها وهواها ، -

مُفَرَّدٌ ، ذَابِلٌ

جذبتهُ إلى عِطرها

وردةٌ ذابله .

16

سَتَظِلُّ صديقي

بين ما كان ، أو ما تَبَقَى

بين هذا الحطام ،

أُيْهِدُ البريقُ الذي يلبس الغيمَ ، يا سَيِّدًا لا ينام .

17

لا يَلْمَحُ غيمًا ، لا يلمح ناراً -

مِنْ أين إِذْنٌ ، سَيجيء الماءُ؟

أيجرّ خطاه مع الكلمات ، ويتبع قافلة الأشياء؟

18

أخذت ما تيسر من خبزها / كان طفلاً
يتلهى بعكازها
ويدب على قدميها ، -
حملته كجوهرة ، غمرته
ورمت فوقه وجهها
ومضت تتوكأ / عكازها
لارتها من أب
مات قتلاً ...

19

النهار رغيغ
والمساء إدام له ،
المساء رغيغ
والنهار إدام له
ورق يتقلب في ريجه /
سيكون الشتاء طويلاً
سيموت الربيع بلا أغنيات ، -

إن هذا رثاء ليلي التي لم تمت ...

أحداً كنتَ أو لا أحدُ

وَمَضَى أو رَمَاداً

بينَ أَشْلاءِ هذا الزمانِ ، - مَوَاءُ قُذِفَتْ إِلَى ظُلْمَةِ القَاعِ ،

أو غَمَرْتُكَ جبالُ الزَبَدِ ،

نكهةُ الفَجْرِ أَنْتَ ، وضوءُ المسافاتِ أَنْتَ ، وهذا المدى

لشموسك ، هذا الصدى

لأغانيك ، - صَوْتِي فِي غَصْبَةٍ ، ورياحي مَخْنُوقَةٌ ،

وأغْنِيكَ وجهكَ وجهك ، لكن موتك مَوْتِي

غير أنني فِي تَرْفٍ بَجَرَحِكَ ، فِي نارِ أَوْجَاعِهِ أَتَفَجَّرُ ،

أجلو لنفسي نفسي

ويُصالح بيني وبين حياتي معراجك الدُمُويُّ

وأهاجرُ مثلك بين الفجعية والفَتَكِ ، والرَّعْبِ

يُوغِلُ فِي خطواتك فِي خطواتي ،

والموتُ صَيَادُنَا العربيُّ .

مُتْ لَكُنْكَ الآنَ أَنشودُتي ورفيقي

وأنا لست منك ، ولكنني أَنتمِي لهديركَ ، للعاصِفِ

المتَمَوِّجِ فِي سَاعِدِيكَ

وطريقك ليست كما أتتور ، لكنها طريقي
وأنا الآن أقرب مني إليك .

وأنا حين أرنو لموتك ، أسأل : هل قدمي على الأرض ؟
هل جسدي راسخ ؟
أم ترى عالق في فضاء من الرعب ، مستسلماً
أتدلى ؟
وأنا حين أرنو لموتك أسأل : هل أنت أقرب مني إلي ؟
وأسأل : هل وطني هذه الأرض ، أم وطني موتك
الأبجدي ؟

لنقل : بيننا عهد نسغ
وطريق - من الجذر حتى الثمر
لنقل : كل ما كان بين العجينة والخالق انكسر
ولنقل : نبدأ الآن من هجرة الريح في غابة الشرر
ولنسبر ، لا لهذا المكان ، ولا ذلك المكان
لنسبر ، حيث لا شيء إلا الطريق وإلا الرهان
أنا طاقة الجذب والتبذ أن رؤانا
وخطانا مدار
لأساطير هذا الزمان .

وسائل

1

يهبط الليل من شُرُفاتِ الفضاءِ ،
ويجلسُ في حَيِّنا
هَرِمًا ، شاحِبًا ، -
مَعَهُ تجلسُ البيوتُ وأحلامُها
تَتَرَامى على صدره ،
وتُغَارِزُ عَكَازَهُ ...

2

تنهضينَ مِنَ النُّومِ ، - زَنْدٌ حَنِينٌ ،
وزَنْدٌ عِنَاقٌ ،
يَتَبَادَلُ أَحْلَامُنَا جَسَدَانَا -

نشربُ الشَّايَ ،
نسمع بين الفناجين همساً .
حولنا زَهْرَاتُ
بعضها ذابلٌ يتذكَّرُ أوراقه
بعضها يتعرَّى ، -

رَغْبَتِي أَنْ أَحَادِثَكَ الْآنَ ، تَجْتَاحُنِي .

3

ليس قلبي شراعاً ولا غيمةً ،
ليكونَ خفيفاً وَيَطْفُوَ / قلبي مداراً
فلماذا ، إذن ، يَتَطَايَرُ فيها؟
كلَّ شيءٍ يُرَدِّدُ عن حَبْنَا :
السَّرِيرُ
الستارُ
النوافذُ
صوتُ الطيور - الصبدي
ونسيمُ يُوَضِّوْصُ من كَوَّةٍ في الخَفَاءِ ،
كلَّ شيءٍ يُرَدِّدُ عن حَبْنَا :
نادرٌ أن يكونَ لِرُؤُوسِ هذا الفضاءِ .

4

الشتاءُ يُودِعُ أشجارَهُ
 دونَ أنْ يتذكَّرَ أنا وضعنا
 عنده ، نارنا
 وامتزجنا بأَمْطارِهِ / الصَّيْفُ يَجْهَلُ أحزاننا
 والرَّبيعُ أُسِيرَ لأزهارِهِ
 ولأَقلامها -
 (كُتِبَتْ أَمْسٍ مَرثِيَّةٌ
 رَدَدَتْها رِياحُ الخريفِ) / الخريفُ يَعْلَمُنا كَيْفَ نَحْيَا .

5

- «ما الذي تَسْتَشِيرُ الآنَ؟ وما المعنى الذي تَبْحَثُ عنه؟
 وإِنَّكَ أَتَيْتَ تَلْقَاءُ وتَلْقَى
 مَنْ يُؤَاخِيكَ وَمَنْ يُصْغِي إِلَيْكَ؟

سَنُغْنِي
 لِيَكُونَ الزَّمَنُ الطَّالِعُ بَاباً
 وَتَكُونَ الرِّيحُ مُفْتَاخاً - وضعنا
 لهبَ الأسرارِ فِيهِ ،
 ورَمَاهُ حَبْنًا بَيْنَ يَدَيْكَ .

**هذا ما كتبه
محمد بن عيسى الصيداني
قبيل موته**

1

سبقوني إلى زَمَنِ آخِرٍ
دخلوا في عيونٍ من الحُلمِ في جسدٍ من ضياءٍ ...
إنَّ جسمي يُقاتِلُ جسمي ،
وحنيني
جارِفٌ كي أسافرَ ، كي أتحدَّثَ مع رُفَّقائي .

2

كلُّ هذِي النجومِ التي تَتَكَوَّبُ تَيَّاهَةً
كَتِفٌ واحِدَةٍ ،
تَعِيبُ اللَّيْلُ من عَيْنِهَا
وأنا مَثَلُهُ
أَتَقَلَّبُ في نارها الخَامِدَةِ .

3

— «الدُّرُوبُ بِلاَ مَنْفَعٍ
والبيوتُ وأيامها رمادٌ ،
عَبْتُ مَوْتِكَ الْآنَ ، لاَ شَيْءَ غَيْرِ الضِّيَاغِ» .

لا تَسُدُّوا فِضَائِي
بتعاويدكم ،
واتركوني لهذا الشعاع الذي سَأَسْمِيهِ أَرْضِي :
إنَّهَا الشَّمْسُ بَيْتِي - بَيْتُ لَنَا ،
وأنا لست إِلَّا انعكاسَ الشعاعِ .

4

خائفٌ ...
هل نسيتُ الطريقَ التي أخذتني
مرةً ، والتقيتُنا؟

كان ما يُشبه الظلام
كان موجٌ رمينا
في غواياته جَسَدِينَا
وهوى جامحاً ، وهَوَيْنَا .

خائفٌ ... وكأني نسيتُ أسرارها
ونسيتُ أحاديثنا
ونسيتُ الكلام .

5

سَكَنْتُ وَجْهَهَا
 سَكَنْتُ فِي نَخِيلٍ مِنَ الصَّمْتِ بَيْنَ رَوَاها وَأَجْفَانِهَا . . .
 بَيْتُهَا شَارِدٌ
 فِي قَطِيعِ الرِّيحِ ، وَأَيَّامُهَا
 سَعَفٌ يَابِسٌ ،
 وَرَمَالٌ .
 مَنْ يَقُولُ لِزَيْنَبَ : عَيْنَايَ مَاءٌ
 وَوَجْهِي بَيْتٌ ، لَأَحْزَانِهَا؟

6

قَطْرَةٌ مِنْ دَمٍ
 إِنَّهَا قَطْرَةُ الدَّمْعِ فِي جَوْفِ هَذَا الْمَسَاءِ
 حَمَلْتَنِي إِلَى صَدْرِهَا ، -
 صَدْرُهَا كُلُّ هَذَا الْفَضَاءِ .

7

ألمحُ الآنَ أحزانها
كالفراشاتِ ، تضربُ قنديلها
حرَّةً ، ذاهلةً
وأراها تُمزقُ منديلها . . .

ألمحُ الآنَ أُمِّي :
وجَّهها حُفرةً ، ويداها
وردةٌ ذابِلَةٌ .

8

بين وقتٍ ووقتٍ ، أحسُّ كأنِّي غَيَّرِي
وأحسُّ كأنِّي دَمٌ يَنْدَفِقُ - أَتَبَعُ خَيْطَ النَّدْفِ ،
أَسْأَلُ : ما اسمي ؟
ولكي أُتَخَيَّلَ ما سَيَكُونُ ، أُخَيِّلُ أَنِّي أَصُمُّ بِلَادِي -
الحقولَ ، الجبالَ ، البيوتَ
وأقولُ : لكي أَتَيَقَّنَ أَنِّي نَفْسِي ،
لا بُدَّ مِن أنْ أَمُوتَ .

9

زَهْرُ الْأَقْحَوَانِ
لَا يَزَالُ يُغْنِي لِمَوْتِي ،
وَيُؤَثِّرُ مَوْتِي لَيْلًا
لِيَكُونَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَتَلَأَلُ فِي غُرَّةِ الْمَكَانِ .

10

شُهْبٌ تَتَسَاقَطُ مِنْ شُرَفَاتِ الْفَضَاءِ
وَأَرَاهَا تَطُوفُ ، -
إِذَنْ ، أَتَقَدَّمُ ، أَسْأَلُ عَنْ حَالِهَا
وَأُحْيِي خَيَالَاتِهَا
وَأَقْدِمُ جِسْمِي لَهَا
وَالْغَبَارَ الَّذِي ضَمَمَهُ وَالرِّدَاءَ .

11

أَعْطِنِي مَا تَرَسَّبَ فِي جَرَّةِ الْأَزْمَنَةِ
 أَعْطِنِي مَا تَرَسَّبَ فِي الرُّوحِ مِنْ تَعَبِ الْأَمَكِنَةِ
 أَعْطِنِي كُلَّ هَذِي الثُّمَالَةِ ،
 جَسَدِي طَافِحٌ بِسِوَاهُ .
 جَسَدِي كُلُّ بَيْتٍ
 وَالشُّوَارِعِ فِي شَرَايِينُ ، وَالْبَحْرِ نُبْضُ :
 هَذِهِ صُورَتِي
 وَأَنَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ .

12

جَسَدُ فَاضِلٍّ عَنْ قَبْرِهِ :
 عَمَرَ الْأَفْقَ دَارًا ، وَبِالشَّمْسِ حَصَنَ أَسْوَارَهَا .
 وَيَقُولُ أَحِبَّائُهُ :
 مُوْغِلٌ فِي مَدَارَاتِهِ
 يَتَهَجَّى الْحَقُولَ وَيَكْتُبُ أَزْهَارَهَا .

13

— هَلْ تَأَخَّيْتُ مَعَ صَوْتِهِ
وَتَنَوَّرَتْ أَغْوَارُهُ النَّائِيَّةُ؟
— أَمْسٍ، كُنَّا مَعاً، وَافْتَرَقْنَا :
نَجْمَةٌ مِنْ فِضَاءَاتِهِ
أَخَذَتْهُ إِلَى دَارِهَا الْعَالِيَةِ .

14

«كَانَ طِفْلاً مِنَ الْبَحْرِ ، طِفْلاً صَدِيقاً لَمْ يَمُوجِهِ
جِسْمُهُ لُجَّةً
وَحُطَّاهُ الشَّوَاطِئُ مَفْتُوحَةً»

... إِنَّهَا آخِرُ الْأَغْنِيَاثِ
هَلْ سَمِعْتُمْ صِدَاَهَا
يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْحَقُولِ ، وَيَشْرُدُ فِي غَابَةِ الذِّكْرِيَّاتِ؟

15

لم تمت أمه :
شعرها ابيض ، لكن هذا اللهب الذي
يتناسل في بيتها

يتناسل في شعرها ، -
أدخلتني من أول
عبر هذا اللهب وعبر الرماد
في بهاء السواد .

16

أي عطر غريب؟ سألت النوافذ ،
لا ياسمين ولا ورد في بيتها ، -

إنه عطرها
طالع من خطاها على الرأية
حين كانت تودع أصغر أبنائها
وتشير إلى شمس الآتية .

17

كان في قبره
لابساً وجه طفل،
طفله كان يرسم في غرفة الخيال
صوراً للرجال .

18

لا تقول الأزقة في حيننا
كيف جاؤوا ، ومن أين ؟ رملُ الرقاق
والزوايا وأسرارها
والتمرد ، والخبز - تاريخهم .
لا تقول الأزقة غير الفضاء الذي شاءه العناق
بين أحلامهم وخطاهم ، -
لا تقول الأزقة إلا الكلام الذي قاله الرقاق .

19

كَانَ مَيِّتًا ، يَدَاهُ
مِثْلُ ظِلٍّ عَلَى وَجْهِهِ
وَعَلَى وَجْهِهِ وَدَاعٌ .
مَنْ يَقُولُ لَهُ الْآنَ : إِنِّي أَرَاهُ
مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ الْحَيَاةِ ، وَإِنِّي
أَتَقَفَّى خُطَاهُ؟

20

سَائِرُونَ إِلَيْهِ ، —
وَطَنًا يَتَوَهَّجُ بَيْنَ الْجِرَاحِ
(الْجِرَاحُ مُصَابِيحُنَا)

سَائِرُونَ إِلَيْهِ
عَاشِقِينَ ، سُكَارَى إِلَيْهِ
نَتَقَرَّى ، نُقَلِّبُ أَحْشَاءَنَا...
مَنْ يَقُولُ الرِّيحُ رَمْتَنَا
خَلْفَ أَسْوَارِهِ؟
الرِّيحُ خُطَانَا إِلَيْهِ
وَالرِّيحُ مَقَاتِيحُنَا .

21

لا تقولوا: قُتِلْتُ . ولا تَدْبُونِي
إِنْ مَوْتِي قَمِيصٌ آخِرُ أَرْتَدِيهِ ،
وَأَنَا وَالْقَضَاءُ
جَسَدٌ وَاحِدٌ
مِنْ هَوَاءٍ وَنَارٍ وَمَاءٍ .

22

لِي فِي كُلِّ بَيْتٍ
وَاحِدَةٌ وَسَرِيرٌ .
أَيْنَ جَسْمِي ، إِذَنْ؟
— «أَخَذْتُهُ الْحَقُولُ»
لَمْ أَقُلْ / أَلَزَّهُوْرُ ،
العصافيرُ كانت تقولُ .

23

هذه قريتي / قرانا
مُعْجَمٌ لِلصُّوَرِ :

صورةُ الزَّلْزَلَةِ

صورةُ لانحناءِ النجومِ على عَتَبَاتِ البيوتِ ،
وهي تزهر بأفلاكها ؛

صورةُ مُثْقَلَةٍ
بشفاهِ تموتُ ، بأنشودةٍ لا تموتُ

صورةُ للقمرِ
يَتَعَشَّى شمسَ النّخيلِ
خالعاً ثوبَهُ
ليَكْفُنَ فيه الشهيدَ الجميلَ .

24

نَهَرَ الْجُرْحَ فَيَضُ:
 كُلَّ صَفْصَافِهِ
 أذْرَعُ مِنْ ضِيَاءِ .
 وَالسَّمَاءُ الَّتِي تَتَمَرَّأُ
 فِي تَجَاعِيدِهِ ، غُصُونُ -
 قَصَبٌ نَاحِلٌ يَتَمَوَّجُ فِي ضِفَّتَيْهِ
 وَأَنَا نَائِيهَا
 أَتَجَدَّدُ فِي مَائِهِ
 وَأَسَافِرُ مِنْهُ إِلَيْهِ .

25

أَشْعُرُ الْآنَ أَنِّي وُلِدْتُ التَّقَاءَ
 بَيْنَ هَذَا التَّرَابِ وَشَيْءٍ
 قِيلَ عَنْهُ : الشَّرُّ
 أَوْ عَمُودُ السَّمَاءِ ، الَّذِي يَتَرَاءَى
 فِي حِجَابٍ مِنَ الرُّعْدِ ، أَوْ يَتَقَبَّصُ خَيْطَ الْمَطَرِ .
 أَشْعُرُ الْآنَ : وَجْهِي خَدَّانٍ - ضِدَّانٍ ،
 خَدَّانٍ - صِنَوَانٍ ،
 خَدَّ الْفَضَاءِ وَخَدَّ الْحَجَرِ .

26

كان لي أن أ شاهد صدرَ السَّماءِ
حينَ فلكُ الجميلُ المحجَّبُ أزرارَها
ورمى ثوبَها غطاءً
لِسِرِّيرِ اللِّقاءِ .

(5 آذار ، 1985)

اننيات

أغنية إلى لحظة ماضية

مرّةً ،
سألَ الله أعرابهُ أن يجيئوا إليه
فراهم
بَشْراً من حديدٍ ورَمَلٍ
يَحْمِلُونَ على جُمُجُمَةٍ
أَرْضَهُ المُسْلِمَةَ .

أغنية إلها هذا الزمان

أحمدٌ ، مريمٌ ، كريمٌ
قرأوا ما يقول المكانُ وما يكتب المستحيلُ
وأثوا للنَّخيلِ يهزّون جذع النَّخيلِ :
رُطِبَ يابسٌ ،
والمكانُ
في الجنوبِ شمالٌ ، في الشمالِ جنوبٌ
والمكانُ كما خيلوا –
خيّلوا أنّه السَّاقُ والجذعُ ، واستشرفوا رياحاً
من جديدٍ تُلقح هذا الزَّمانُ .

أغنية إلها الزمن - الضد

لو تجرأتُ ، قلتُ : النجوم ، السماء وتاريخها ،
الناسُ ، واللغة القائمة
جُثَّتْ عائمة
لو تجرأتُ ، سألتُ : من يُحرقُ الآن؟
ماذا يُسرّ ، بماذا يُجاهرُ؟ هل
قال؟ هل كان؟ هلاً؟
لو تجرأتُ ، غنيتُ للمدن الآفله
للرماد المدمي ، وللآلة الآكله ،
ولأعلنتُ : هذي
آية الوقتِ ، أرضُ
تتناسلُ في جُثَّةٍ ، وربُّ
علَّقته الجريمة
فوق أقواسِها ، تميمة .

أغنية إله الوقت

إنه الرقّتُ ، وقت الحصار ، الذي لا يرى
غيرَ هذا الدّم المتنقل بين الشوارع ،
ملءَ البيوت الذي لا يرى
غيرَ هذا التفجّر في جسدٍ لا يُرى ،
وأقول لوجه الجنوب : توجّهتُ
أنى توجّهتَ أتبعك ، تمضي
وأمضي إلى مثلما
وتقود خطايَ إلى كيفما
وتوجّه ناري إلى ما يُزلزل ، يومئذٍ لي ... ربّما .

أغنية إله المعنى

ليس هذا زمانَ البداءِ ولا آخرَ الأزمنةِ
إنَّه نَهْرُ الجرحِ يدفقُ من صدرِ آدمَ ، -
معناه يُوْغِلُ في الأرضِ ،
والشمسُ صورتهُ المُعلَّنة .

أغنية إله زينب

حضنتُ زينبَ طفلها
تَتَنَوَّرُ سِرِّ اللقاءِ وعُرسَ اللقاءِ
بين تاريخها والبُكاءِ .

أغنية إله بضعة حروف

كان للميم أن يصنع القاف جسراً
ويعمر للواو بيتاً
من ضياءٍ وحبٍ
كانت التاء ترهب وتعلو ، -
إنها اللغة الهادية
والقرى تتفتح ، والقلب يقرب من داره النائية .

أغنية إله فاطمة

فاطمة
تُنزل القمر الساهر المتمرد من بُرجِه
وتقود خطاه إلى بيتها
وتمدُّ له كي ينام رفيقاً لطفلتها النائمة .

أغنية إله المائدة

للمصداقة بيني وبين الجنوب ، وأحزانه العائده
كتب ، وثياب
نسجتها البيوت ، الرياح ، العناصر /
لا تهدم القاعدة
ابتهج واقتحم
وأنع مصباح هذي الدروب لكي
يرثس المائدة .

أغنية إلى الاعتراف

أبتَهجُ واعترفُ
للجنوب ، لشمس الجنوب ، لنيرانِ
أحشائه المضمرة
والكلام الذي لا يُقال اعترافُ
وأقول الوصولُ قريبٌ قريبُ
وأرى قامة الموتِ محنيةً
وأقول التواريخ تزهر وتقطف أعشابها المسكرة .

أغنية إلح المسافات

نشوة / موجةً بادئةً
في شواطئ من لهفةٍ ،
مرحباً ، يا ضياءَ المسافات ، لن أقطعَ الخيط
بيني وبينك ، أحزانك الدافئة
تسرّبُ في خطواتي
مرحباً ، أيّها الخطوات التي تتخاصرُ في كلماتي .

أغنية إلى اللغات

كلّ تلك اللغات - الشظايا ، حمائرُ
للمدن المقبله
غيّروا بنية الاسم والفعل والحرف ، قولوا
لم يعد بيننا حجابُ
لم تعد بيننا سدودُ ،
واشربوا صدىكم
بالفواتح من سُور الرّغباتِ ،
وجنّاتها المقفلة .

أغنية إلهي أحمد ومريم وكريم

أحمد ، مريم ، كريم
قمر السيد الجنوب يزور بيوتاتهم
ويقبل أحجارها ،
قمر السيد الجنوب يعلق فوق العرائش قفطانه
قمر السيد الجنوب يكرر ميثاقه
للحقول وأزهارها ،
وبصلي صلاة الشروق على وردة الغروب
قمر السيد الجنوب .

أغنية إله عاشق

النَّجْمُ كمثل الثَّقُوبِ
في فراش أحبائه — خُطَاهُ
شجراتٌ تمدُّ إلى البحر خدًّا
والى جبلٍ يتوضَّأ بالبحر خدًّا ،
وتمدُّ على الهاويه
جسرَ آفاقها ،
وأنا الرّوايةُ
أتحدّث عن عاشقٍ في الجنوب ،
وعن عاشق الجنوب .

أغنية إلها ميت

دَمُهُ يَقْطُرُ الْآنَ مِنْ وَرْدَةِ الْفَضَاءِ
مِنْ حُرُوفِ النَّحَاسِ وَمِنْ كَلِمَاتِ الْحَدِيدِ ،
وَمَوْعِظَةِ الْكِيمِيَاءِ :
لَيْسَ مَوْتًا كَمَوْتِي كَمَوْتِكَ ، هَذَا
مَوْتُ أَوْهَامِنَا ، —
دَمُهُ الْآنَ سَجَادَةٌ لِلسَّمَاءِ .

أغنية إله هو

لم أقل يا أخي أنت ميتٌ
قلتَ تمضي ، وتعرف ماذا سيأتي
وانتهت خطواتك ، لكنّ ظلك مازالَ
يمتدُّ طفلَ اليدين ، تُرى أنت حيٌّ ،
وعيناك عيناَي ، والموتُ ما بيننا مرأيا ،
وأرى ما رأيتَ ، أترجم نفسي لنفسي :
أترانا دمٌ واحدٌ؟
نتقاسمُ خبزَ الفجيرةِ والحبِّ ، خبزَ الحياةِ
غريبين ، مُستضعفينَ
وأنادي : أنا كربلاءُ الحنينِ ،
وتصرخُ : يا سيّدي الحسينُ .

أغنية إله الجرم

أحمدٌ ، مريمٌ ، كريمٌ
نزلَ الموت في حيِّهم
يتسقط أحلامهم
يتصيد آخر ما يتوالد في ماء أحلامهم ،
غير أنني أنا الرواية
سأقول لكم ما رأيت على الضفة الثانية :
كل يوم يُغنون للشمس كي تترجلَ عن سرجها
وتفيء إلى ظلِّهم ، -
عشقت قوسَ أهدابهم
عشقت كحلهم
عشقت لونَ حنائهم ،
وأراها
جمعت كلَّ أعنابها ، ورمتها
قطرة قطرة في خوابهم ،
وأقول - أنا الرواية :
هكذا ينسج الزمان خطاه بأشلائهم

ويمهد أشلاءهم

طرقاً لخطاهم :

إنه اللعبُ - الطفل ، نردُّ الرِّياح

ولهم ما يلقح جذع المساء بنسغ الصَّبَّاح

ولهم كلُّ هذي الحقولِ ، لهم كلُّ هذا اللِّقَاحِ .

أغنية إلهي فلام

خوذة؟

باطل زعمكم

هذه آخر البرتقال الذي كان يسكن في حقله .

أغنية إلهي ما تشاء

كل شيء يليق / ابتكر ما تشاء -

المضارع ماضٍ ،

والذي لم يكن كان ،

والغيب حس ،

واضطرب مثل لُج

إنه الحب يكشف عن شمسك الغائره

في تجاعيدك النافره .

أغنية إله الخيال

كان للعين أن تتصيّد من غابة الخيال
كلّ ما خطّطوه وما اجترحوه
ضدّ تلك الوحوش التي سُمّيت واقعا ،
لم أكن شاهداً ، كنت أصغي
من بعيدٍ بعيدٍ ،
للصخور التي تتحدث عن أوّل الرّجالِ ،
وعن آخر الرّجالِ .

أغنية إلهي الكتابة

بعد هذا وهذا وهذا
لا الشوارع ماتت ، ولا الموتُ تذوي
رياحينه
والغرائبُ ليست نقيضاً لما قُلتُ/
قلتُ الكأبة
دفترٌ آخرٌ للكتابة .

أغنية إلها السرّ

أتركوه لأسراره :

مرة يُجلس البحر في حضنه
مرة ، تحت شُباكّه ،

اتركوه لأسراره :

يتقنّع بالعشب ، أو يتلبّس وجه الحجر
اتركوه لأسراره حَقْلَ حَبّ
يتحوّل في كلِّ فصل
ويقلّب في راحتيه الشجر .

أغنية ثانية إلهام

طوقه بأهدابهم وأفادوا عليه
هو فيهم كروح ترفرف ، والحب
كالعرش ، والشمس مجمرة في يديه
وحواليه ، تعلو أساطيرهم ، -
كيف ، أتى ومن أين أدخل في ذلك الزحام
وأنا لست إلا المحدث والراوية
لست إلا الصدى
يترصد في بابہ النبوي - الصدى ،
واحتضار الكلام .

الاسم

كان هذا الذي يتغطى
بالرماد (يغني
للرماد وأسراره
يتموج ، يعلو . . .)
والذي تَتمرأى
في جراحاته ، ويُمرئي
في عذاباتنا وجهه ،
والذي عاش في نَسَمٍ من حنينٍ ،
والذي قيل في مَذْحِه - التَّبْعُ والبرتقالُ ، الجراحُ
وأشجارها ،
الرفضُ والجامحون ، الذي لبستهُ النجومُ
لتدْفَأُ ، والريحُ كي لا تكون عقيماً ،
والذي حضنتهُ بساتيئهِ
وقراه ، وفلاحهُ ، والطفولةُ ، والعاشقاتُ
وعشاقهنَّ ،
الذي جاء من عَتَمَاتِ الدروب ، وجاءت إليه

الدروب ،

الذي يُقرئ البحرَ ما كتبتهُ الحقولُ .

الذي قيلَ : إيقاعُهُ

نبضُ شطآنه ،

قيلَ : أحراشُهُ مِنْجَمٌ لأساطيرِهِ ،

والذي قيلَ : محرائُهُ

كي يفتقَ صدرَ الترابِ ، ويوكِلُ للشمسِ

إكسيرةً ،

والذي كان يكمنُ للموتِ في وردةٍ ،

حين لا يتيسَّرُ أن يجلسَ الموتُ في حضنِهِ ،

والذي لم يقل مرةً : يائسٌ

والذي عاش في البردِ والحرِّ دهرًا

ليقلِّمَ زيتونة

أو ليجنيَ تفاحةً

كان هذا الذي جاء من عَتماتِ الدروبِ ، وجاءت إليه

الدروبُ

كان هذا الجنوبُ

سيداً ، جامحاً مثل موجٍ

صامتاً مثل صخرٍ ،

لم يَفُقه مرةً باسمه ،

أشمال اسمه

بعلبك وبيروت والأرز والفقراء اسمه ،

كأذ أن يمحي
خاشعاً في رداء التواضع ، كي لا يُقال : الجنوب
لم يسر في بيان ولم يتوكأ على توريته
كل ما قاله هذه الأغنية :

«شجرُ البرتقال
مُثَقَّلٌ بالقنابل والرصاصدين ،
فكيف سيهرب هذا الدخيلُ ومن أين؟
لا منفذٌ في السهول ،
ولا عاصمٌ في الجبال» .

كان هذا الذي ينحني خاشعاً
للذين يموتون كي يفتحوا الدروب ،
كان هذا الذي كأذ أن يمحي
في رداء التواضع كي لا يُقال : الجنوب ،
كان هذا الجنوب .

(16 شباط ، 1985)

حالات

حالة غطاء

حينما تفتحُ الشمسُ مُخدَعَهَا للمساءُ
تتراءى النوايرُ منسوجةً غِطاءً
فوق وجه السماء .

حالة شيخوخة

كلّما قلتُ : شَيْئَتْ ، واستنفدتني الجراحُ ،
رَجَّتْني عاصِفٌ ، وكساني
بتقاطيعه الصَّبَاخُ .

حالة غيمة

غيمةٌ من كلامٍ
تتبخَّرُ من جثث الأنبياءِ
وتغطِّي الفضاءَ .

حالة لحظة

وُلدت لحظةٌ
من زواج المدينة والرفق ، زواجها
لفضائي ، وأعطيتها خاتمي ، —
كلما ضاقت الأرضُ ، أيقظتها
وهي الآن في زهو إيقاعها
وهي الآن تحيا معي .

حالة نبع

مَنْفِيّ هَذَا النَّبْعُ ، وَمَنْفَى
لِلظَّامِ هَذَا الْمَاءُ ، وَهَذَا الْمَجْرَى —
فِي الْكَلِمَاتِ وَفِي الْأَشْيَاءِ
أَيَخُونُ النَّبْعُ ، أَيْمَحُو
مَا يَكْتَبُهُ قِثَارُ الْمَاءِ ؟

حالة وردة

أَخَذَ الْمَوْتُ يَقْرُبُ ، يَهْبِطُ فِي الْمَاءِ ، يَلْتَهُمُ الْإِنِّيَّةُ
لَمْ تَجِدْ وَرْدَةً الْإِنِّيَّةُ
غَيْرَ أَنْ تَنْحَنِي :
تَتَلَاشَى ، وَتُسَلِّمُ لِلْمَوْتِ أَوْرَاقَهَا الْحَانِيَّةُ .

حالة كرسى

أطراف أربعة
لكن لا أعرف أيهما
رجلاك ، وأيهما
زنداك ، ويبقى
أن أشهد : أنت الأكثر صبراً
من أطراف الإنسان ، وأنت الأبقى .

حالة الصحراء / النرجس

للماء ناي كنت أسمع وأسمع شهوتي
 لغة تأخر وحيتها
 وتجيء بين هنيهة وهنيهة
 غيرت قافلتني ، - الخليفة طينة / نرد ، سألهو ،
 بسريرتي ونردّها .
 وأنا الذي ولدته صحراء / أياثل حلمه
 مكسوة بنخيلها
 وسدي لعبت النرد مع قمر ، وطفت على بساط
 من سندس ،
 وسدي أملت بما يقول غراب ظني ،
 أو بما يعد الخراب
 يا شعر ، يا حوذينا المجنون خذني /
 خذنا لنسبق موتنا
 لنرى ، لنكتب ما سيأتي
 ونكون فاتحة الكتاب .
 صحراء - أم

وأنا الشهادة ، ضائعاً
يهذي كمن يمشي على
أشلائه
يمشي ويرتجل الفضاء .
وأنا الشهادة ، أرضنا
طمست
لكثرة ما تراكم فوقها
من أنبياء .

صحراء - سر :
هذا هو السرّ المبين ،
سحابة
تلقي عباؤها عليّ ، حفيفها
لغة لنجوم الأفله ، -
تية ، وقافلة تضيع قافله .

صحراء - تلمسني حصاة : أنت أنت ،
والمس الرمل الصديق : أأنت أنت ؟
شرارك التهم الشرارا ،
صحراء - تحمل نخلة
نجماً ، وتحمل ناقة

قمرأ ، وتبتكر الصّحارى ،

صحراء - نرجسها يفوص ، يعوم في تيه المرايا
متكسراً :

صوراً يراقصها ويبكيها ويرسم وجهه
فيها ، يُفتّتت بعضه بعضاً ،

يُجنُّ بهذه الصّور - الشّظايا

نَسَجَ النّهارَ بلبيله

حلماً أحبّ لكى يُضيء ، لكى يموت / ونرجس

هذي البقايا

لا ، ليس نرجس غير طيّف

لا ، ليس هذا الطّيفُ غير بكائه

صحراء تلتهمُ الفضاء ، وليس نرجس غير قَبْرِ ، -

هوذا أراه ، كما روت أحلامه

نسيّ الطّريقَ إلى سُلّافَةِ مائه ، نسيّ الكلاما ،

هوذا أراه متوجّحاً يسراه

أعطى لأطراف السّماء يديه ، من تعبٍ ، وناما .

الولد الراكض في الذاكرة

قَوْسُ رَيْحَانٍ عَرِيشٌ مِنْ حَمَامٍ
وَالشَّبَابِيكُ رَمَتْ أَبْوَابَهَا
لَيْدِ الرِّيحِ / الْحَقُولُ
قَرْيَةٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ وَمِنْ حَيْثُ الْفُصُولُ .

غَضِبُ الرُّعْدِ وَلُطْفُ الْغَيْمِ فِيهَا رَيَّانِي
قَرْيَةٌ نَسُهرُ فِي سِرِّوَالِهَا
وَيَبُوحُ التَّيْنُ وَالتَّوتُ بِمَا تَنْجَعِلُ مِنْهُ الشَّقَاتَانِ .

فِي أَعَالِي شَجَرِ النَّخْلِ نَمْتُ ذَاكِرْتِي
هُوَذَا السَّمَاقُ نَحْنِيهِ وَهَيَّانَا الْبَقُولُ
وَنَقُولُ التَّابِلُ الطَّيِّبُ لَنْ يَنْقُصَنَا هَذَا الْعَشِيَّةُ
هُوَذَا يَحْتَضِنُ النَّسْرِينَ طِفْلًا
كَيْ يَرُدَّ الْوَرْدُ لِلْوَرْدِ التَّحِيَّةُ .
فِي أَعَالِي شَجَرِ النَّخْلِ نَمْتُ ذَاكِرْتِي

إنه التَّرجسُ يأتي حافياً
 ما الذي يشغله
 والرَّفيقُ العشب يعطيني ذراعيه وأعطيه قميصي
 وتغطينا يدا زيتونة
 لي في دفترتي الأخضر شُبَّاك وفي الأزرقِ وعدٌ
 لي في محفظةِ الشَّمسِ كتابٌ...

في أعالي شَجَرِ النَّخل نمت ذاكرتي
 نبعُ صَفْصافٍ ، بُكاءُ
 أترى أسمع للجنِّ عَزِيفاً
 أم هي الأغصانُ موسيقى؟ ترنم
 أيها الصَّفْصافُ وامنحني أن أصغي إليك
 أن أرى وجهي مرسوماً عليك
 هاجساً يقرأ صوتَ الماء في صمتِ الحجَرِ
 ودماً يكتبُ/ في أوراقه
 مطرٌ يمشطُ أغصانَ الشَّجَرِ .

هَبَطْتُ ذاكرتي
 من أعالي شَجَرِ النَّخلِ / سلاماً
 للصَّديقِ الولدِ الرَّاكِضِ في ذاكرتي
 لم يَزُرْني اليومَ لم يُومئْ إليّ

مثلما عَوَّدَنِي - أَسْلَمْتُ وَجْهِي
لِمَرَايَاهُ : مَنِ الضَّائِعُ مِنَّا؟
وَمَنِ الصَّامِتُ وَالنَّاطِقُ؟ غَامَت
شَفَتَاهُ - أَتَرَاهُ سَاكِنٌ فِي شَفَتِي؟

أَيْهَذَا الْوَلَدُ الرَّاكِضُ فِي ذَاكِرَتِي
جُرْحِي النَّازِفِ يَسْتَعْصِي وَلَكِنْ
جَسَدِي يَنْمُو وَيَزْهَوُ
فَأَنَا وَالْبَحْرُ فِي الْمَوْتِ سَوَاءٌ
وَأَنَا قَبْرَةُ الْحُزَنِ أَنَا ذِئْبُ الْفَرَحِ
أَيُّهَا الطَّالِعُ مِنْ هَذَا الْفَضَاءِ
أَنْتَ جَرِحَ آخَرَ يَنْزِفُ أَمْ قَوْسُ قُزَحٍ؟

هَبِطْتُ ذَاكِرَتِي
مِنْ أَعَالِي شَجَرِ النَّخْلِ / سَلَاماً
يَا شَبِيهِي الْوَلَدُ الرَّاسِبُ فِي ذَاكِرَتِي
أَنْتَ مَنْ يَجْمَعُ فِي نَبْضِي أَمْ أَنْتَ الْحَرِيقُ؟
وَسَلَاماً أَيُّهَا الطَّيْفُ الصَّدِيقُ
عَشْتُ مَحْمُولاً عَلَى تَرْدٍ وَسَمَّيْتُ الْقَمَرَ
فَرَساً حِيناً وَحِيناً فَارَساً
كَانَتْ الشَّمْسُ تَوَاحِيكَ وَتَبْنِي

معك البيت الذي تنبئه من قش وتلهو
بالحصى مثلك/ لو تعطيني الآن يديك ...
وسلاماً

أيهذا الشجر المائل في ذاكرتي
أأنا تطلقك أم صمتك أو ما تنقل الريح إليك
من غبار الشجر الآخر؟ لو تعطيني الآن يديك
لو يقول الأفق الساهر في ليل رؤاك الساهره
ما الذي تمخض في غابة أيامي رياح الذاكرة ...

في أعالي شجر النخل نمت ذاكرتي
لم أكن أعرف أن الجسد العاشق مرسوم بمنقار سنونو
لم أكن أعرف أن الحب لا يعرفه إلا الجنون

لمن النجمة تُرخي شعرها
وتلاقيها إلى البيدر أفراس التعب
بين عينيها طريق ويداها
خيمة ...

حقاً؟ خُذيني
... / حوض أحزان وماء الليل / غصنا
واقسمنا قمر الماء ، يقينا
تحلم النجمة أن تسكن بيتاً من قصب .

(بيروت ، أيار ، 1982)

شطح

لِمَ لَئِكَ مِنْ فَضَّةٍ وَرِصَاصٍ
لِرِمَالٍ تَجْرُ جَلَابِيهَا الذَّهَبِيَّةُ
تَتَهَاوَى وَتَنْشِجُ فِي قَفْصِ الْأَبْجَدِيَّةِ ، —

— إِنَّهَا أَرْضُهُ الرِّثَّةُ النَّازِفَةُ
مِثْلَمَا يَفْقِدُ النَّهْرُ مَجْرَاهُ ، وَالْبَرْقُ
شَعْلَتَهُ الْخَاطِفَةَ
وَأَرَاهَا تَنَامُ

غَيْرَ أَنِّي أَوَاجُهُ هَذِي الصُّحَارَى كَأَنِّي فَجَرُ الْكَلَامِ
وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
زَمَنُ شَهْوَةٍ وَأَرَامِلُ مِنْ مَعْدِنٍ
وَالْمَكَانُ انْشِقَاقُ

— دَائِمًا كَانَ هَذَا الْمَكَانُ انْشِقَاقًا
وِخْرَاطًا مِنْ طُحْلِبٍ وَغُبَارٍ ،
دَائِمًا كَانَ هَذَا الْمَكَانُ

يَتَكَسَّرُ فِي قَبْضَتَيْنِ
مِنْ حِصَارٍ وَفَتْكَ ...

غَيْرَ أَنِّي أَوَاجِهَ هَذَا الْمَتَاهُ كَأَنِّي فَجَرُ الْكَلَامِ
وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
ظَهَرَتْ نَجْمَةٌ أَكَلَتْهَا
نَمْلَةٌ
وَأُكْرِرُ أَنَّ الدَّخَانَ
عُرُسُ لِلرِّيَّاحِ - أَقْبَلِي مَا تَبْقَى
مِنْ دَمِي : وَرَدَتَيْنِ -
قَلْقِي وَحَنِينِي
وَأَنْسَجِي يَا رِيَّاحُ مَنَادِيكَ الْخَفِيَّةَ
مِنْهُمَا ، وَلَتَكُنْ بِاسْمِنَا تَحِيَّةً
لِلرَّحِيلِ وَأَطْلَالِهِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَأَقُولُ بِلَا دَهْشَةٍ
وَطَنٌْ بَعْضُ ظَنٍْ ، وَهُوَ الْآنَ ...

- لَا تَتَفَوَّهْ
أَثَرِي ضَلَّلْتُكَ الرَّوْيَ أَمْ جُنُنْتُ؟
وَهُوَ الْآنَ مَقْبَرَةٌ : شَرَطِي
مِنْ حَدِيدٍ ، وَوَادٍ ، وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

لوعبرتَ هنا أو هناك الحدودَ
ورأيتَ الذين يتوقونَ للنورِ يُطَوِّنونَ طيَّ الثيابِ ويُرْمَوْنَ في
دَرَكَاتِ الظَّلامِ

لَتَمَنَّيْتَ أَلَّا يَعُودَ الكلامُ
غَيْرَ هَذِمٍ وَنَارٍ
وَلَمَزَقْتَ هَذي الخرائطَ هَذي البنودُ
وَلَجَدَقْتَ مثلي
ووطنٌ بعضُ ظَنٍّ ...
وأقولُ بلا دهشةٍ
أَلْمَلايِينِ خَضِرَاءَ والصَّوْتِ منها ومنها الصَّدى
وأنا ذئبٌ هذا المدى
وحديّ الهالكِ المتخبطُ لا كوكبٌ لا هُدى
ضائعٌ بين حَقْلٍ وحَقْلٍ
أَتَقَرَّى عروقَ النباتِ وأسألُ عن زَهْرَةٍ أَخْتَهَا

وأقولُ بلا دهشةٍ
وَإِتْنِي يَا زَمَانَ التَّعَبِ
صِرتُ أَهْوَى الجُلوسِ إِلَى صَخْرَةٍ المَسْتَحِيلِ
مِثْلَ طِفْلِ يَحِبُّ الرَّحِيلَ
فِي الفِضَاءِ عَلَى صَهْوَةٍ مِنْ قَصَبٍ .

- لا تقولوا : هروبٌ ويأسٌ
 تَهْرَبُ الرِّيحُ كي تحضنَ الأرضَ
 واليأسُ يفتحُ أبوابه الملكيّة
 لانفجار المداراتِ ، قولوا : نذيرٌ
 واسمعوا الشَّاهدَ المغطى
 بجذوع النخيلِ
 واقرأوا الشَّاهدَ المدونَ بالتمرِّ والزَّجْبِيلِ
 في صحائفِ إِسْتَبْرَقٍ ...
 وأقولُ بلا دهشةٍ للنّدى
 هل رأيتَ المكانَ خبرتَ الحقولُ
 بَشَرٌ هؤلاء الذين يُغَطّونها أم يُقولُ؟
 هكذا أتجرأ أن أعشقَ النّدى
 وأُغنيّه ، - يَجْري كأنَّ السَّحَرِ
 ضِفَّتاه
 ويَفْضُ حَقائبه كالرَّسائلِ بين غصون الشُّجَرِ
 ما الذي حملتهُ يداكَ؟ لِمَن يكتب الأفقُ أسرارَهُ؟
 والطَّرِيقُ الذي يَتَطاولُ في ضِفَّتَيْكَ - دَمٌ آخَرٌ ،
 أم بريقٌ يَغامرُ ، أم شاعِرٌ يُحْتَضِرُ؟

وأقولُ بلا دهشةٍ
 عَجَبِي أَنتي لم أَشِخْ

عَجَبِي أَنْ هَذَا الْحَطَامُ
لَمْ يَزِدْنِي إِلَّا بَهَاءً ، -
- هي ذِي وَرْدَةٍ تَتَشَهَّى
بين أَحْضَانِهِ
- هي ذِي تَتَوَهَّجُ نِيرَانُهُ الْمُطْفَأُ

وَأَنَا الْآنَ طِفْلٌ كَأَنَّ الْقَمَرِ
بِهَا عَجَبِي / بِهَا دَهْشَةُ أَقُولُ
لِي هَوَايَ وَلِي سَكْرَةٌ لَا تَزُولُ
والحروف نساءٌ تُوشِوشُنِي مَا تُحِبُّ وَأَمْتَحُهَا شَطْحَاتِي
وَنَقِيًّا مِنَ الْوَهْمِ أَجْهَرُ هَذِي حَيَاتِي
شَرَّرَ وَخَيُولُ مِنَ الضُّوءِ تُقْلِتُ مِنْ عَرَبَاتِ الصُّوَرِ .

الفهرست

13	قصائد أولى (1955-1949)
15	قالت الأرض
35	قصائد إلى الموت
45	أغنيات الحب
51	حدود اليأس
61	قصائد لا تنتهي
97	أوراق في الريح (1960-1955)
99	أوراق في الريح
117	قصيدة إلى الغريبة
120	من الذاكرة
122	كلمات لليأس
123	الأطفال
128	مزامير الإله الضائع
132	القافلة
133	ظل

135 أغاني مهيار الدمشقي
(1961-1960)

141	فارس الكلمات الغربية
165	ساحر الغبار
213	الإله الميت
241	لدم ذات العماد
267	الزمان الصغير
289	طرف العالم
305	الموت المعاد

315 كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل
(1965)

317	زهرة الكيمياء
318	الدهشة الأسيرة
319	شجرة النهار والليل
320	كنيسة النهار
321	شجرة الشرق
322	الإشارة
323	شجرة الحنايا
324	شجرة النار
325	شجرة الصباح
327	غابة السحر
328	شجرة الأهداب
329	شجرة الكآبة
330	أقليم البراعم

331	المسرح والمرايا (1968)
333	كلمات
337	لون الماء
339	الزمن المكسور
350	حزمة القصب
355	أربع أغنيات لحزمة القصب
361	تيمور ومهيار
365	أربع أغنيات لتيمور
371	مرايا وأحلام حول الزمن المكسور
403	الممثل المستور
413	مرايا للممثل المستور
437	وجه البحر
469	كتاب المطابقات والأوائل (1979)
497	الأوائل
541	كتاب الحصار (1985-1982)
543	صحراء I
552	صحراء II
566	أشخاص
575	رسائل
579	هذا ما كتبه محمد بن عيسى الصيداني قبيل موته
597	أغنيات
620	الاسم
623	حالات

الولد الراكض في الذاكرة
شطح

632

636

عبد الرحمن منيف



عِشَاءُ الْقَاءِ وَابْتِكْرُ صَبْحَةٍ وَامِضْ

زَدْ سَعَةَ الْأَرْضِ

ISBN => 2-84305-003-0
BAN => 9782843050019